روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

المجهول

121

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٤

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - انفجار ..

لم تكد الشمس تغرب ، فى ذلك اليوم من أيام أغسطس ، على تلك المنطقة الهادئة الراقية ، من مدينة (السادس من أكتوبر) ، حتى أضيئت مصابيح الشوارع إليكترونيًا ، بفضل الخلايا الضوئية الراقية(*) ، المسئولة عن تشغيلها ، وخلت الشوارع من المارة إلا قليلاً ، وقد انشغل الجميع فى متابعة مباراة كرة قدم مهمة ، على شاشة الهولوفيزيون(**) ، بين الفريق القومى المصرى ، وفريق (ليفربول)

(*) الخلية الضوئية : نوع من الصمامات المفرّغة ، ذات خاصية محدودة ، إذ إنها تصبح موصّلة للتيار ، عند تعريضها للضوء ، والأنواع الحديثة منها تستخدم طبقات رقيقة فى البوتاسيوم والمعادن الأخرى ، التى تبعث الإلكترونات ، تحت تأثير الضوء ، وهى تستخدم فى مصابيح الطرق ، والأبواب الآلية ، إذ يؤدى توقّف الانبعاث إلى توصيل التيار الكهربى ، عند قطع مسار الإضاءة .

(**) الهولوفيزيون : جهاز تليفزيون ثلاثى الأبعاد ، يعتمد على أشعة الليزر ، بحيث تبدو فيه الصورة مجسمه ، وليست مسطحة كأجهزة التليفزيون المعتادة .

الإنجليزى ، وراح الظلام يتسلَّل إلى المدينة رويدًا رويدًا ، فتضاء نوافذ تلك الفيلات الصغيرة تباعًا ، ويحلّ الليل والهدوء محل الصباح والحركة والنشاط ، و ...

وفجأة حدثت تلك الرَّجة ..

ارتجاجة قوية مباغتة ، مصحوبة بفرقعة مكتومة ، سرت فى الحى كله ، على نحو أثار انزعاج وتوتر الجميع ، فهتف أحد سكان المنطقة فى حنق :

- يا للسخافة ! إلى متى سنحتمل كل هذا ؟!

قالها ، وألقى نظرة عبر النافذة الكبيرة ، على الفيلا المقابلة له تمامًا عبر الشارع ، قبل أن يستطرد فى حدة :

- كيف يسمحون لمأفون مثله بالعيش ، وسط مجتمع سكانى هادئ كهذا ؟!

ابتسمت زوجته ، وهى تربِّت عليه ، قائلة :

- كلنا نعلم أن الدكتور (وائل شوقى) ليس مأفونًا بالتأكيد ؛ فالرجل واحد من علماء الطاقة المعدودين ، فى (مصر) والعالم ، وله أبحاثه الرائعة ، التى نال عنها جائزة (نوبل) فى الفيزياء والطاقة ، مع مطلع القرن الحادى والعشرين .

مطَّ زوجها شفتيه ، وهو يتابع المباراة ، قائلاً :

- ربما كان هذا فى الماضى ، قبل أن يصاب بالجنون .

رمقته زوجته بنظرة جانبية ، وهى تقول :

- الرجل لم يصب بالجنون قط ، فقد كان ومازال عبقريًّا فذًّا فى مجاله .. كل ما فى الأمر هو أن سنوات عمره ، التى تجاوزت الستين ، دفعته إلى التقاعد وإن لم يتوقَّف عن إجراء أبحاثه وتجاربه بعد .

لوَّح زوجها بذراعه ، قائلاً فى سخط :

- فليذهب إلى الصحراء إذن ! ما ذنبنا نحن لنحتمل كل هذا الإزعاج ؟!

هزَّت كتفيها ، قائلة بابتسامة كبيرة :

- من يدرى ؟! ربما خرج علينا هذا الإزعاج بنظرية جديدة ، تقلب موازين العلم رأسًا على عقب .

قال فى سخرية :

- نظرية جديدة ؟!

ثم استرخى أكثر فى مقعده ، متابعًا :

- مشكلتك أن دراستك العلمية الفيزيائية تجعلك تميلين إلى الإيمان بهذا المأفون ، الذى لم يغادر منزله منذ شهر كامل ، بحجة انهماكه فى إجراء

تجاربه المزعجة ، التى تعكّر صفو حياتنا ، أما أنا فرجل عملى واقعى ، لا يمكن أن أنبهر بمثل هذه الخزعبلات .

هتفت مستنكرة :

- خزعبلات ؟! هل تعتبر ما يفعله الدكتور (وائل شوقى) مجرّد خزعبلات ؟!

زمجر ، قائلاً :

- بل أعتبر ما يفعله أكثر إزعاجًا مما يفعله ابننا الصغير ، عندما يحلو له الدق على طبلته ، بعد منتصف الليل .

مطّت شفتيها ، قائلة :

- أنت متحيّز تمامًا ضد الرجل .

هتف فى حدة :

- وأنت منحازة إليه تمامًا .. هيا .. دعينا نلق كل هذا خلف ظهرينا ، حتى تنتهى المباراة .

ثم عقد حاجبيه ، متابعًا فى سخط :

- وأتعشّم ألا يباغتنا مأفونك هذا بانفجار هذه المرة ، أو ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، دوى الانفجار .

انفجار مباغت ، عنيف ، دفع الرجل عن الأريكة فى عنف ، فارتطم بالمنضدة الصغيرة أمامه ، وسقط معها أرضًا ، وإلى جواره زجاجة المياه الغازية ، التى كانت على المنضدة ، وهتفت زوجته مذعورة ، وهى تحاول النهوض من سقطتها :

- ربّاه ! ماذا حدث ؟!

قفز زوجها إلى النافذة فى غضب هادر ، وهو يهتف :

- لو أن ذلك المأفون هو المسئول ، فسوف ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وسقط فكه السفلى فى بلاهة ، وهو يحدّق فى ذلك المشهد العجيب أمامه ..

فهناك ، عند فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، أو ما تبقّى منها ، كان هناك قوس يتألّق على نحو مخيف ..

قوس بدا وكأنه نصف دائرة من النيران أحاطت بالفيلا ، عند منتصفها تمامًا ..

وداخل قوس اللهب هذا ، اختفى النصف الخلفى من الفيلا ..

اختفى تمامًا ..

ليس هذا فحسب ، وإنما بدا الأمر وكأن هناك عاصفة جليدية رهيبة ، تحدث داخل قوس اللهب ..

عاصفة ، زادت من غرابة المشهد ورهبته ..

الجليد والنار اجتمعا فى قوس واحد ..

ويا لها من صورة !!

وفى ذهول مذعور ، حدّق الجميع فى ذلك المشهد الرهيب ، قبل أن يهتف أحدهم فى انفعال شديد :

– ربّاه ! الدكتور (وائل) .

اتجهت أنظار الجميع إلى حيث يشير الرجل ، واتسعت عيونهم فى ارتياع ..

فمن الباب الرئيسى للفيلا ، خرج الدكتور (وائل) ، فى حالة مزرية للغاية ..

بل مخيفة ..

نصف وجهه احترق ، وثيابه تمزّقت على نحو بشع ، وساقه اليسرى تنزف منها الدماء فى غزارة ، وهو يمدّ يدًا نصف محترقة ، وكأنما ينشد من يمدّ له يد العون ، وشفتاه تتمتمان بعبارة غير مفهومة ، وهو يعبر حديقة الفيلا فى صعوبة ، محاولاً بلوغ سورها القصير ..

وفى هلع ، هتفت الزوجة :

– يا إلهى ! الرجل يحتاج إلى النجدة .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى اندفع زوجها يعدو بكل قوته خارج المنزل ، وعبر حديقة فيلته بقفزتين واسعتين ، ثم عبر الشارع ، ووثب متجاوزًا سور حديقة فيلا الدكتور (وائل) ، على الرغم من وجود قوس اللهب المخيف ، واندفع يلتقط الرجل بين ذراعيه ، قبل أن يسقط أرضًا ، وهو يهتف فى توتر قلق :

– أأنت بخير يا دكتور (وائل) .

رفع عالم الطاقة عينيه إليه فى صعوبة ، ولوّح بسبّابته نصف المحترقة فى ضعف ، وهو يتمتم :

– إنهم هنا .

خُيّل للرجل أنه لم يسمعه جيّدًا ، فقال فى توتر :

– ماذا ؟!

لوّح الدكتور (وائل) بسبّابته مرة أخرى ، وهو يلهث ، مغمغمًا :

– لقد حاولت منعهم ، ولكننى لم أستطع .. لم أستطع .

بدا الأمر للرجل أشبه بهذيان مصاب ، فانحنى فى رفق ، ليرقد الرجل أرضًا ، فوق الحشائش الصغيرة لحديقة فيلته ، وهو يقول متعاطفًا :

- اهدأ يا دكتور (وائل) .. اهدأ .. كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله .. سيارة الإسعاف ستصل بسرعة ، و ...

قاطعه الدكتور (وائل) ، وهو يلهث بشدة ، قائلاً :

- أنا .. أنا المسئول .

ثم قبضت أصابعه على قميص الرجل فى قوة مباغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وتلاحقت أنفاسه على نحو مخيف ، وهو يهتف فى صعوبة :

- سامحنى .. سامحونى جميعًا .

قال الرجل فى دهشة :

- نسامحك ؟! على ماذا ؟!

استدار الدكتور (وائل) ، بكل ما تبقى فى جسده من قوة وإرادة ، وأشار إلى بقايا فيلته ، وقوس اللهب المحيط بها ، وهو يتمتم :

- أنا المسئول .. الـ ..

ارتفع صوت بوق سيارة الإسعاف ، فى نفس

اللحظة التى بتر فيها عبارته ، وأطلق من حلقه شهقة مكتومة ، وعيناه تجحظان بشدة ، ثم يتهاوى دفعة واحدة ..

وفى ذعر ، حدّق الرجل فى جثة الدكتور (وائل) ، قبل أن يرفع عينيه إلى قوس اللهب الذى بدأ يتلاشى فى بطء ، وعقله يسترجع كلماته الأخيرة ..

« سامحونى .. أنا المسئول .. »

وبكل قلقه ، وذعره ، وخوفه ، وتوتره ، راح الرجل يسترجع تلك الكلمات مرات ومرات ، وعيناه لا تفارقان ذلك القوس الرهيب ، الذى راح يتلاشى ..

ويتلاشى ..

ويتلاشى ..

★ ★ ★

أصدر محرك سيّارة (أكرم) القديمة صوتًا عاليًا مزعجًا ، وهو يندفع بها داخل ذلك الحى الراقى ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ، فاعترض أحد رجال الشرطة المحيطين بالمنطقة طريقه ، واستوقفه بإشارة صارمة ، قبل أن يتقدّم إليه ، قائلاً فى صرامة :

ـ مهلاً يا سيِّدى .. سيارتك تصدر أصواتًا عالية للغاية ، ومحركها القديم يحتاج إلى تعديل ، حتى لا يخرج كل هذا القدر من الدخان والعوادم ، والأمران يخالفان قانون البيئة .

لوَّح (أكرم) بيده ، قائلاً :

ـ فليكن أيها الضابط .. سأراعى هذه الأمور فى المستقبل ، أما الآن فأنا على عجلة من أمرى .. إذ إننى ...

قاطعه الضابط ، وهو يدوِّن المخالفة ، على جهاز الكمبيوتر المحمول فى حزامه :

ـ لو أنك دائمًا على عجلة من أمرك ، فأنصحك بأن تستبدل بهذه السيارة العتيقة سيارة كهربائية حديثة .. هذا أفضل لك ، وللبيئة المحيطة بك .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يسأله فى حدة :

ـ ماذا تفعل ؟! هل ستدوِّن المخالفة ؟!

أشار الضابط بسبَّابته ووسطاه ، قائلاً :

ـ مخالفتان يا سيِّدى .. واحدة للضوضاء ، وأخرى لفساد المحرِّك .

حاول (أكرم) أن يبتسم فى عصبية ، وهو يبرز بطاقته ، قائلاً :

ـ أنت لا تفهم الأمر .. إننا زميلان .. أنا أعمل فى المخابرات العلمية .

رفع الضابط حاجبيه ، هاتفًا ، وهو يلقى نظرة على البطاقة :

ـ حقًّا ؟!

ابتسم (أكرم) فى ارتياح ، وهو يعيد البطاقة إلى حافظته ، قائلاً :

ـ نعم .. حقًّا أيها الضابط .. أشكر لك تفهُّمك .. سأوصى بك خيرًا ، و ...

قاطعه الضابط مرة أخرى بابتسامة كبيرة :

ـ كونك أحد رجال المخابرات العلمية ، يفرض عليك الاهتمام أكثر بالبيئة يا سيِّدى .

ثم مال نحوه ، وأدَّى التحية العسكرية فى احترام ، مستطردًا :

ـ ولا تنس دفع المخالفتين ، فالمبلغ يتضاعف بعد مرور أسبوع ، طبقًا للقوانين الجديدة .

احتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وهو يقول فى عصبية :

ـ اطمئن .. لن أنسى .

ثم اندفع بالسيارة ، وهو يلوّح بيده ، مستطردًا فى حدة :

- أيام جدى ، لم يكن رجال الأمن يحرّرون المخالفات بعضهم للبعض .

ابتسم الضابط فى سخرية ، وهو يرفع عينيه بدهشة مصطنعة ، قائلاً :

- آه .. فهمت الآن ممن ورثت هذه السيارة العتيقة .

قالها ، وانفجر ضاحكًا مع زملائه ، فعقد (أكرم) حاجبيه أكثر ، وهو يغمغم ساخطًا :

- ولم يكونوا يسخر بعضهم من البعض أيضًا .

وهتف فى حنق :

- ثم من قال : إن سيارتى تصدر أصواتًا مزعجة .

كان يتجه مباشرة نحو موقع فيلا الدكتور (وائل) ، وأدهشه أن التفت الجميع إليه فى اهتمام متوتر ، فغمغم ، وهو يثب من السيارة :

- عجبًا ! يبدو أن الجميع فى انتظارى .

وقع بصره على (نور) ، الذى انهمك فى الحديث مع الجار ، الذى هبّ لنجدة الدكتور (وائل) قبل أن

يلقى مصرعه ، فاتجه إليه فى خطوات واسعة ، ولوّح بيده ، قائلاً :

- مرحبًا يا (نور) .. هل تحدَّثت مع الكثيرين قبل وصولى ؟!

أشار إليه (نور) بيده ، قائلاً :

- كلاً .. لقد تحدَّثت مع الأستاذ (حسن) فحسب .. إنه الشاهد الرئيسى فى الحادث .

قال (أكرم) فى دهشة :

- عجبًا ! المفترض أننا هنا بسبب انفجار عنيف ، مصحوب بظاهرة غير طبيعية ، فكيف يكون هناك شاهد رئيسى واحد ؟!

أجابه (نور) :

- الجميع هنا شاهدوا ما حدث ، ولكن الأستاذ (حسن) وحده سمع كلمات الدكتور (وائل) الأخيرة .

اندفع الأستاذ (حسن) يعيد ما قاله فى توتر :

- لقد أخبرت سيادة المقدّم (نور) أن كل ما قاله الرجل ، قبل أن يلقى مصرعه هو : سامحونى .. أنا المسئول ..

سأله (أكرم) :

- المسئول عن الانفجار ؟!

هزّ (حسن) كتفيه ، وقال :

- بل أعتقد أنه كان يقصد قوس اللهب ، فقد أشار إليه .

غمغم (أكرم) ، وهو يدير عينيه فيما حوله فى حيرة :

- قوس اللهب ؟!

أجابه (حسن) فى توتر شديد :

- لقد كان هنا ، عندما حدث ذلك الانفجار .. إننا لا ندرى حتى كيف تلاشى شىء هائل كهذا ؟!

ثم راح يلوّح بذراعيه ، وكأنما يحاول وصف المشهد ، وهو يتابع :

- لقد كان قوسًا هائلاً ، أشبه بنصف دائرة مشتعلة ، تحيط بمنتصف الفيلا تمامًا .. وبداخلها عاصفة جليدية عاتية .. لا تسألنى كيف يجتمع هذا وذاك ، ولكنهما اجتمعا فى مشهد رهيب ، لست أظن أحدنا يمكنه نسيانه قط .. وذلك القوس كان يلتهم نصف الفيلا بأكمله .

تطلع (أكرم) إلى الفيلا ، وهو يقول فى حذر :

- يلتهمه ؟!

هتف الرجل فى انفعال :

- لم يلتهمه بالمعنى الحرفى ولكن ...

بدت عليه الحيرة ، وكأنما يحاول البحث عن كلمات مناسبة ، لوصف ما رآه ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

- لقد كان نصف الفيلا بأكمله مختفيًا ، وكأنما لم يعد له وجود أو ... أو ...

ربّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- لا عليك .. إننا نستطيع استيعاب ما تصفه .

أكمل (أكرم) فى شىء من السخرية العصبية :

- بعد كل ما مررنا به .

لم يفهم الأستاذ (حسن) عبارة (أكرم) ، فتطلّع إليه فى دهشة حائرة ، جعلت (نور) يربّت على كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

- لا بأس يا أستاذ (حسن) .. لا بأس .. إننا نشكرك كثيرًا على تعاونك ، وأرجو أن تعتصر ذهنك ، وتحاول أن تتذكّر أية كلمة نطق بها الدكتور (وائل) رحمه الله ، فكل شىء قد يكون ذا فائدة عظمى لنا .

انفرجت شفتا (حسن) ، وهمَّ بقول شىء ما ، ثم لم يلبث أن غمغم :

- بالتأكيد يا سيادة المقدَّم .. بالتأكيد .

راقبه الاثنان فى هدوء ، حتى ابتعد لمسافة كاملة ، قبل أن يسأل (أكرم) فى حيرة متوترة :

- هل تفهم شيئًا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

- الأمور لم تتضح بعد ، فما رآه الشهود قد يكون مجرَّد ظاهرة كهرومغنطيسية ، نشأت من تجربة فاشلة للدكتور (وائل) رحمه الله .. لا تنس أنه كان أحد علماء الفيزياء والطاقة الأفذاذ ، والعامة لم يعتادوا رؤية مثل هذه الظواهر ، التى ستبدو لهم مخيفة ومذهلة بالتأكيد .

هزَّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- وماذا عن اختفاء نصف الفيلا ؟!

أشار (نور) إلى المكان ، مجيبًا :

- لاحظ أن الجميع قد شاهدوا الحادث من زاوية رؤية واحدة تقريبًا ، وهذا يضع أمامنا احتمالاً كبيرًا لظواهر الخداع البصرى .

وتنهَّد فى عمق ، قبل أن يستطرد :

- ثم إننا لن نستطيع الجزم بأى شىء ، قبل وصول باقى أعضاء الفريق ، واستكمال البحث والتحريات .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

- هل سيأتى الجميع ؟!

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- هذا أمر طبيعى يا (أكرم) ، فـ (سلوى) خبيرة فى الصوتيات ، وهذا جزء مهم من أبحاث الدكتور (وائل) ، و (نشوى) خبيرة الكمبيوتر فى الفريق ، والوحيدة التى قد يمكنها استعادة بعض وثائق الرجل ، بعد تحطُّم جهاز الكمبيوتر الخاص بأبحاثه .

سأله (أكرم) :

- وماذا عن (رمزى) ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

- إنه الخبير النفسى للفريق .

سأله (أكرم) فى حيرة :

- وما صلة حادث كهذا بالطب النفسى ؟!

أجابه (نور) ، وهو يستند إلى سيارته :

- هؤلاء الشهود اصطدموا بانفجار مباغت ، مصحوب بظاهرة مخيفة ، لم يستطيعوا تفسيرها ، ومن الطبيعى فى أحوال كهذه ، أن يصيبهم الاضطراب والارتباك ، مما يعنى أن أقوالهم ستفتقر إلى الدقة والموضوعية اللازمتين ، والشخص الوحيد ، الذى يمكنه تمييز الجزء الصحيح من غير الصحيح ، فى ظروف كهذه ، هو طبيب نفسى بارع .

ثم ربّت على كتفه ، مستطردًا .

هل فهمت الآن ، لماذا نحتاج إلى الفريق كله ؟!

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- ليس هذا فحسب يا (نور) ، ولكننى أتساءل الآن ، ماذا أفعل أنا هنا ؟!

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يربّت على ظهره ثانية ، ويقول :

- من يدرى .. ربما كنت أكثر الموجودين أهمية .

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، وقال :

- مجاملة أنيقة يا (نور) ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه ، وهو يتطلّع بعيدًا ، قبل أن يقول فى توتر :

- يبدو أنه ليس الفريق وحده من سيأتى إلى هنا يا (نور) .

أدار (نور) عينيه ، إلى حيث يشير (أكرم) ، وانعقد حاجباه بدوره ، وهو يتابع سيارة جريدة (أنباء الفيديو) المرئية ، وهى تقترب من المكان ، وقال :

- إنها زوجتك (مشيرة) .

تنهّد (أكرم) ، قائلاً :

- حذار منها يا (نور) ، فهى شديدة العصبية ، منذ فقدت حملها .

لم يعلّق (نور) على العبارة ، وإنما أشار إلى سيارة أخرى ، سطعت أضواء مصابيحها من بعيد ، وهو يقول :

- يبدو أن الرفاق قد وصلوا أيضًا .

حاول أن يتجاهل وجود (مشيرة) ، إلا أنها لم تكد تصل إلى المكان حتى هرعت إليه ، وخلفها أحد المصوّرين ، وهتفت :

- آه .. المقدّم (نور الدين) هنا .. تُرى ما الذى يمكن أن يعنيه اهتمام المخابرات العلمية بما حدث هنا ؟!

توقّف ، قائلاً فى حزم :

- إنه لايعنـى شيئًا خاصًا ياسيّدة (مشيرة) .. القانون يحتم وجود أحد المسئولين بالمخابرات العلمية ، فى كل حادثة ترتبط بظاهرة غير مألوفة .

ابتسمت فى خبث ، قائلة :

- آه .. هذا اعتراف إذن بـأن الحـادث قد ارتبط بإحد الظواهر الخارقة .

هزّ رأسه ، مجيبًا :

- لم يشر أحد إلى الظواهر الخارقة ، كـل مـا قلتـه هو : إنها ظاهرة غير مألوفة ، وهذا يعنى أنها ظاهرة طبيعيـة ، ولكن العامـة لـم يـألفوا رؤيتهـا أو التعـامل معها ، وهذا أمر يختلف تمامًا .

سألته فى دهاء :

- إذن فأنت تؤكّد ، على مسئوليتك الشخصية ، أن ما حدث هنا مجرّد أمر عادى .

كان سؤالاً خبيثًا للغاية منها ، إذ إن وجود (نـور) ، فى مسرح الحادث ، يمنحه صفة رسمية ، فى التحدُّث بلسان المخابرات العلمية ، وأى جـواب يصدر عنـه ، سيعدّ تصريحًا رسميًا ، وهو فى الوقت نفسه لايستطيع

الموافقة على عبارتها أو نفيها ، دون أن تطارده بسؤال ثان أو ثالث ، حتى يتعقّد الأمر أكثر وأكثر ، و ...

« لم يحن بعد وقت إصدار تصريحـات رسـمية ياسيّدة (مشيرة) .. »

أنقذته (سلوى) بقولها هذا ، من التورّط فـى أى جواب رسمى ، فالتفتت إليها (مشيرة) فى غضب ، حاولت أن تخفيه أمام عدسة آلة التصوير الهولوجرامى ، وهى تقول :

- آه .. الفريق كلـه وصل .. تُـرى أمـا زال هـذا يعنى أن الأمور بسيطة عادية ؟!

أجابتها (سلوى) فى سخرية :

- كل ما يعنيه هذا هو أن المخابرات العلمية تولـى اهتمامها دائمًا ، لكل حـادث يقلق المواطنين ، وأنهـا تؤدى واجبها دائمًا ، على الرغم من هذه السخافات .

ارتفع حاجبا (مشيرة) فى دهشة ، وهمّت بقول شىء ما ، ولكن (نور) وأد كلماتها فى حلقها ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- هذا يكفـى .. لا أحـاديث أخرى ، قبـل أن نتـمّ عملنا هنا .

قالت فى عناد :

- وماذا لو تابعتكم آلة التصوير فى أثناء الـ ...

قاطعها فى صرامة :

- هذا محظور قانونًا .

قالها ، واتجه مع فريقه إلى الفيلا ، التى انهار جزء من جدارها الخلفى ، وتبعثرت منه عشرات الملفات وأسطوانات الكمبيوتر المدمجة ، فتمتمت (نشوى) :

- يا إلهى ! أعتقد أن أمامى الكثير من العمل هنا .

ابتسمت (سلوى) ، قائلة :

- إنه عمل تقليدى على أية حال .

هتف (أكرم) :

- أخيرًا .

ثم ألقى نظرة عبر إحدى النوافذ المكسورة ، قبل أن يضيف :

- دعونا نعترف أن (مشيرة) دقيقة ونشيطة ، ومخلصة لعملها للغاية .. إنها تتحدث إلى الجميع فى آن واحد .. أراهن على أنها تستطيع الحصول على المعلومات ، بأفضل مما نفعل نحن .

ضحكت (سلوى) ، قائلة :

- هذا أمر طبيعى ، فكل الناس تنفتح شهيتهم للحديث ، أمام عدسات التصوير .

قالت (نشوى) مبتسمة ، وهى تلتقط إحدى الأسطوانات المدمجة :

- لماذا لانستخدم آلة تصوير فى أثناء عملنا إذن ؟!

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

- هذا يعنى أننا ..

بتر عبارته بغتة ، على نحو جعل الجميع يلتفتون إليه فى دهشة ، وغمغمت (نشوى) فى قلق بالغ ، عندما شاهدت انعقاد حاجبيه ، وانقلاب سحنته :

- ماذا حدث يا (أكرم) ؟!

فوجئت به يطلق زمجرة مخيفة ، ثم ينتزع مسدسه فى سرعة ، ويصوبه نحوها ، و ...

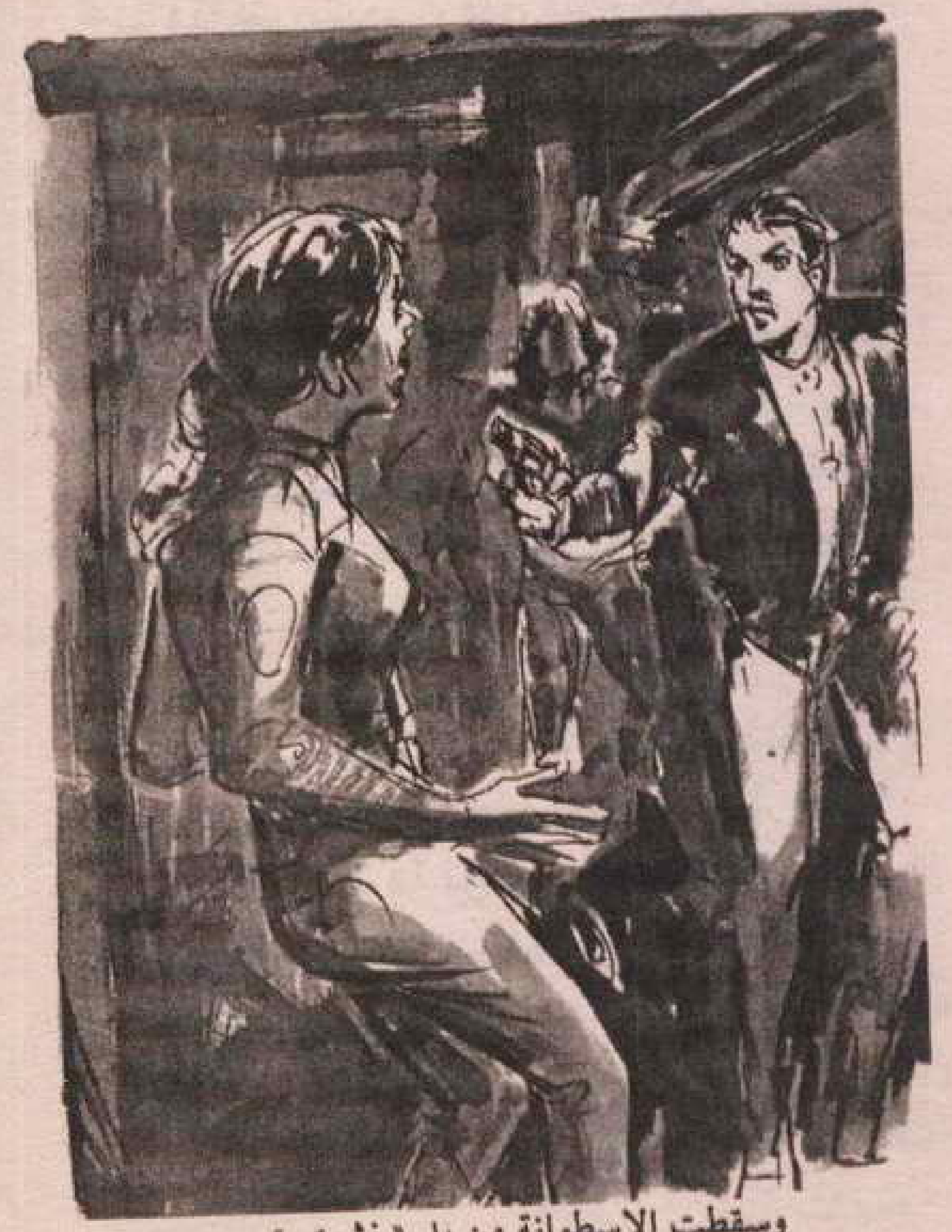
وسقطت الأسطوانة من يد (نشوى) ..

وانطلقت من حلقها صرخة ..

صرخة تموج بكل الدهشة ..

والذعر .

★ ★ ★



وسقطت الاسطوانة من يد « نشوى » ..
وانطلقت من حلقها صرخة ..

٢ ـ الظل ..

بذل المهندس (شريف) جهدًا حقيقيًا ؛ ليبقى عينيه مفتوحتين ، فى تلك الليلة ، وهو ينطلق بسيارته ، عبر الطريق المباشر الجديد ، عائدًا إلى منزله ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ..

كان قد عمل لاثنتى عشرة ساعة متصلة ، لإصلاح عطب طارئ ، أصاب شبكة الاتصالات العامة ، على نحو لا مثيل له ، منذ بناء (القاهرة الجديدة) ، وتملّكه التعب والجهد ، حتى تمنى أن يصل إلى فراشه ، بأسرع وسيلة ممكنة ..

وما إن لاحت له أضواء المدينة ، فى نهاية الطريق ، حتى ارتسمت على شفتيه ابتسامة مجهدة ، وغمغم :

ـ أخيرًا .

وبصورة لا شعورية ، زاد من ضغط قدمه على دوّاسة السرعة ، فوثبت السيارة إلى الأمام ، وضاعفت من التهامها للطريق ، و ...

وفجأة ، ظهر أمامه ذلك الرجل ..

كان يعبر الطريق فى خطوات هادئة للغاية ، وسط الظلام الدامس ، فى تلك البقعة الجديدة ، التى لم يتمّ توصيل المصابيح الكهربية إليها بعد ..

وعندما سقطت أضواء السيارة عليه ، التفت إليها فى حركة سريعة للغاية ..

ولوهلة ، خُيّل للمهندس (شريف) أن عينى الرجل قد تألّقتا ببريق أحمر عجيب ، كما لو أنهما عينا قط ، تلتمعان فى الظلام ..

ولقد أربك هذا المهندس (شريف) بشدّة ، فضغطت قدمه على دوّاسة السرعة بقوة أكثر ، بدلاً من أن تنتقل إلى الفرامل ، فوثبت السيّارة وثبة عنيفة ، وأطلق (شريف) صرخة مذعورة ، و ...

وحدث الاصطدام ..

اصطدمت السيّارة بالرجل فى قوة ، وانتزعته من مكانه ، وألقته أربعة أمتار كاملة ، قبل أن يرتطم بالأرض ، وتهمد حركته تمامًا ..

ولثوان ، ظلّ المهندس (شريف) داخل سيارته ، ممسكًا عجلة القيادة بأصابعه العشرة فى قوة ، وقد

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى الجسد المسجى أمامه ، على مسافة أربعة أمتار ، والذى بدا ، تحت ضوء مصباحى السيارة ساكنًا خامدًا ، لا أثر للحياة فيه ..

ثم فجأة ، انتفض جسد (شريف) ، وهتف فى ارتياع :

ـ ربّاه ! ماذا فعلت ؟! ماذا فعلت ؟!

حدّق مرة أخرى فى الجسد الهامد ، قبل أن ينتزع نفسه من مقعده انتزاعًا ، ويغادر السيارة ، ليقف إلى جوارها مرتجفًا ، وعيناه لا تفارقان ذلك الجسد ..

ولبعض الوقت ، راودته فكرة الفرار ، والابتعاد عن المكان بأقصى قدر ممكن ، أو العودة لمنزله ، وتجاهل الأمر تمامًا ، وكأنما لم يكن ، خاصة وأن المنطقة ساكنة مقفرة ، لا يمكن أن يكون قد رآه أو شعر به أحد ..

فيما عدا ذلك الشخص ، الراقد على بعد أربعة أمتار منه ..

وفى أعماقه تساءل : ما الذى كان يفعله هنا ؟!

ولماذا كان يعبر الطريق ، وسط الظلام الدامس ؟!

إن أقرب منطقة مأهولة تبعد كيلو مترين على الأقل ، وهو لا يلمح من حوله سيارة معطَّلة ..

ثم إنه لو تعطَّلت سيارة الرجل ، لكان من الطبيعي أن يسير بمحاذاة الطريق ، فى اتجاه المدينة ، وليس عبره ، نحو واجهة مجهولة !!

وفى النهاية تغلَّب ضميره ، وحسم المَسألة ..

لا يمكنه أبدًا أن يترك الرجل هنا ..

لا يمكن أن يتخلَّى عنه ، بعد أن صدمه بسيارته ..

لا بد أن يفعل شيئًا ..

أى شىء ..

انتزعه قراره الأخير من مكانه ، وجعله يعدو نحو الرجل ، وينحنى لفحصه فى اهتمام بالغ ..

وهوى قلبه بين قدميه ..

إنه لم يشعر بأية علامة من علامات الحياة فيه ..

لا عرق ينبض ، أو أنفاس تتردَّد ..

ومرة أخرى راودته فكرة الفرار ..

ومرة أخرى أيضًا ، وأدها ضميره فى أعماقه ، فراح يجذب الرجل إلى سيارته ، بكل ما يملك من جهد ، وتلاحقت أنفاسه فى صعوبة ، عندما انتهى من

مهمته ، وعلى الرغم من هذا فقد انطلق بالسيارة على الفور ، وقلبه يخفق فى قوة ، حتى بلغ مستشفى (السادس من أكتوبر) ، وهناك هتف بكل ما تبقى له من انفعالات :

- النجدة .. معى مصاب فى حادث سيارة .. النجدة .

هرع إليه الأطباء ورجال الإسعاف ، وبسرعة ظهرت محفَّة إليكترونية ، تم نقل المصاب عليها إلى حجرة الطوارئ ..

وهناك ، بذل الجميع قصارى جهدهم بحق ..

حقنوا المصاب بـ (الكورتيزون) و (الأدرينالين) ..

دلَّكوا قلبه ..

استخدموا الصدمات الكهربية لتنشيطه ..

ثم عادوا يحقنون (الأدرينالين) فى قلبه مباشرة ..

وكرَّروا استخدام الصدمات الكهربية ..

والتدليك ..

ولكن لا فائدة ..

لم تظهر علامة واحدة من علامات الحياة على المصاب ..

لا نبض ..

أو تنفس ..

أو استجابة لبؤبؤ العين ..

وعند مرحلة فحص العينين بالذات ، لم يقاوم (شريف) فضول إلقاء نظرة عليهما ..

وعندما أزاح الطبيب جفنى المصاب المرتخيين ، سرت فى جسد (شريف) قشعريرة ، وهو يتصوَّر رؤية عينين حمراوين ، شبيهتين بعينى قط .

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

كانتا عينين عسليتين عاديتين ، خلتا من بريق الحياة ..

وانهار (شريف) على أقرب مقعد إليه ، عندما غمغم رئيس فريق الطوارئ فى النهاية :

ـ لا فائدة ..

وترقرقت عينا (شريف) بالدمع ، وهو يتمتم :

ـ لم أكن أقصد هذا .. كان مجرَّد حادث .

ربَّت الطبيب على كتفه ، قائلاً :

ـ أعلم هذا يا ولدى ، ولكن القواعد هى القواعد .. لا بد أن يتم أخذ أقوالك ، فى نقطة الشرطة التابعة للمستشفى .

رفع (شريف) إليه عينين دامعتين ، وهو يكرِّر :

ـ لم أكن أقصد هذا .

تبادل الطبيب نظرة مع ضابط نقطة الشرطة ، الذى أومأ برأسه متفهِّمًا ، وهو يقول لـ (شريف) :

ـ اتبعنى أرجوك .

نهض (شريف) يتبعه ، وعيناه تلاحقان عامل المشرحة ، الذى راح يدفع المحفة أمامه ، لنقل الجثة إلى حيث يتم حفظها ، وكرَّر فى مرارة وانهيار :

ـ كان مجرَّد حادث .

أما عامل المشرحة ، فقد دفع المحفَّة أمامه ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا ! إنه أوَّل حادث فى الطريق الجديد ! تُرى ما الذى كان يفعله هذا المسكين هناك ؟!

عجز عقله عن العثور على جواب منطقى ، فواصل دفع المحفَّة أمامه ، حتى بلغ المشرحة ، فسجَّل بيانات الجثة ، وضغط أزرار الثلاجة ، و ...

وفجأة انتفض جسده كله فى عنف ، واستدار يحدِّق فى الجثة مذعورًا ..

لقد لمح تلك الحركة ..

لمح الجثة تتحرك أسفل الملاءة التى تغطيها ..
ليس مجرَّد خداع بصرى ..
إنه مستعد للقسم على هذا ..
ولثوان ، ظلَّ يحدِّق فى الجثة ، التى بدت له هامدة ساكنة ، كأية جثة أخرى ، حتى راوده شعور قوى بأنه واهم ، وبأن ما رآه لم يكن سوى نوع من الخداع البصرى بالفعل .
وفى توتر بالغ ، أطلق زفرة عصبية ، وغمغم :
ـ ماذا أصابنى ؟! هل سيراودنى الخوف الآن ، وأنا أعمل فى هذا المكان ، منذ أكثر من خمس سنوات ؟!
هزَّ رأسه فى قوة ، لينفض الخوف عن نفسه ، وبسمل وحوقل ، ثم اتجه إلى الجثة ، وكشف الغطاء عن وجهها ، و ...
وفى هذه المرة لم ينتفض جسده كله فحسب ..
لقد انطلقت من حلقه أيضًا صرخة رعب هائلة ، تردَّد صداها فى المكان كله ..
فعندما انكشف الغطاء عن الجثة ، كانت عيناها تتألقان ببريق أحمر رهيب ..

وكانتا تحدقان فيه مباشرة ..
ثم قفزت يدها فجأة ، تقبض على عنقه ..
وصرخ الرجل مرة ثانية ..
وثالثة ..
ورابعة ..
بل ظلَّ يصرخ بلا انقطاع ، والجثة تنهض جالسة ، وهى ما زالت تمسك بعنقه ، ثم تقف فى قوة ، والعينان الحمراوان المتألقتان تحدقان فيه على نحو يكفى لتمزيق قلب أكثر الرجال بأسًا وشجاعة .
ثم اقتحم اثنان من رجال الأمن المكان ..
كانت صرخات العامل قد جذبتهما فى قوة ، فانطلقا يعدوان إلى المكان ، وهما يتوقعان مواجهة أمر خطير ..
وعلى الرغم من هذا ، فقد صرخا فى رعب ، عندما وقع بصرهما على ذلك المشهد ..
كانت الجثة تسير فى هدوء ، ممسكة بعنق العامل ، الذى يقاوم فى رعب واستماتة ، ويواصل الصراخ بلا انقطاع ، وقد جحظت عيناه من فرط الذعر والألم ..

وفى صعوبة ، انتزع أحد الحارسين نفسه ، من رعبه وذهوله ، وصاح وهو يصوّب مسدسه إلى الجثة :

ـ قف وإلا ...

لم يدر بم يهدّد شخصًا مات بالفعل ، من وجهة النظر الطبية ، لذا فقد تراجع مع زميله فى توتر بالغ ، وهو يصرخ :

ـ سنطلق النار .

لم توقف العبارة مسيرة الجثة ، التى واصلت طريقها ، وهى تجرّ العامل المسكين من عنقه خلفها ، فصرخ أحد الحارسين :

ـ فليكن .

ثم ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصات ..

واخترقت جسد الجثة ..

وعنقها ..

ورأسها ..

ولكن هذا لم يوقفها ..

كل ما حدث هو أنها اعتصرت عنق العامل المسكين

بغتة ، فحطّمته بفرقعة مكتومة ، ثم ألقته أرضًا ، وهى تواصل طريقها ..

وانطلق الحارسان يعدوان مذعورين ، وأثار مرآهما هلع (شريف) ، وهو يجلس فى نقطة الشرطة ، فى حين استلّ الضابط مسدسه بدوره ، واندفع نحوهما ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

صرخ به أحدهما :

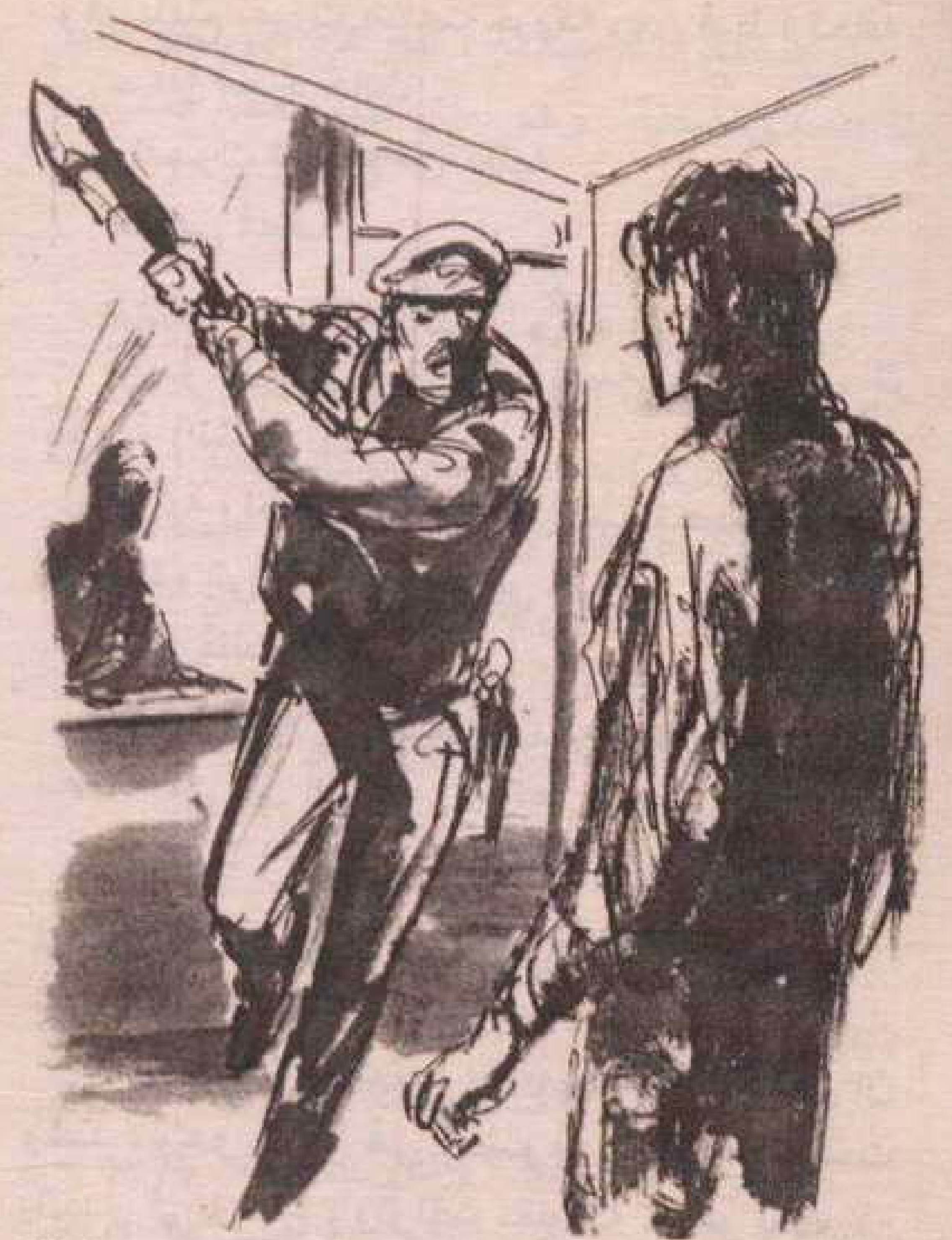
ـ لقد عادت إلى الحياة .. عادت إلى الحياة .

لم يفهم الضابط ما يعنيه هذا القول العجيب ، ولكنه أدار عينيه إلى حيث أتيا ، قبل أن ينتفض جسده كله بدوره ، وهو يهتف :

ـ يا رب العالمين !

ودون أدنى تردُّد ، ارتفعت فوهة مسدسه نحو الجثة ، التى اتجهت إليه مباشرة ، وعيناها تبرقان بذلك البريق الأحمر الرهيب ..

وتجمّد (شريف) فى مقعده ، وهو يحدّق فى ذلك المشهد ، عبر الجدار الزجاجى لنقطة الشرطة ، ورأى رصاصات الضابط تخترق الجثة فى مواضع شتى ، وهى تواصل سيرها ، وتقترب منه أكثر ..



وبقفزة مدهشة ، طار جسده نحو الجثة ، وارتفعت البلطة في يده ، و ..

وأكثر ..

وأكثر ..

واتسعت عينا الضابط عن آخرهما ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده ، مغمغمًا :

ـ ساعدني يا إله العالمين .. ساعدني .

ثم وثب يحطم صندوق الطوارئ بمرفقه ، واختطف البلطة الصغيرة داخله ، ثم اندفع نحو الجثة ، صارخًا بكل انفعال الدنيا :

ـ ساعدني .

وبقفزة مدهشة ، طار جسده نحو الجثة ، وارتفعت البلطة في يده ، و ...

وانتفض جسد (شريف) هذه المرة ، وهو يطلق صرخة فزع ، وعيناه تحدقان في المشهد الرهيب ..

ولثانية ، ترنحت الجثة بلا رأس ، قبل أن تهوى أرضًا ، ويتدحرج إلى جوارها الرأس المقطوع ، وقد خبا بريق عينيه المخيف .

ولأكثر من نصف دقيقة كاملة ، لم ينطق أى مخلوق بحرف واحد ، وهم يحدقون في الجثة والرأس ، ثم لم يلبث (شريف) أن قطع ذلك الصمت الرهيب ،

وهو يتمتم بصوت ضاعت حروفه ، من فرط ارتجافه :

ـ كان مجرَّد حادث .

وتفجَّرت الدموع من عينيه ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

كان (نور) أوَّل من انتزع نفسه من دهشته ، إثر صرخة (نشوى) ..

وبوثبة واحدة مدهشة ، قبض على معصم (أكرم) ، ورفع يده إلى أعلى ، هاتفًا فى حدة :

ـ هل جننت ؟!

دفعه (أكرم) بكل قوته ، وهو يحاول تخليص معصمه من بين أصابعه ، صائحًا :

ـ ابتعد يا (نور) .. ابتعد قبل فوات الأوان .

هتف (نور) ، وهو يتشبث به فى قوة :

ـ أوان ماذا ؟!

التقى حاجبا (أكرم) ، واتسعت عيناه فى آن واحد ، وهو يحدِّق فى (نشوى) ، التى التصقت بالجدار فى ارتياع ، وتراخت مقاومته ، وهو يتمتم :

ـ عجبًا ! إنه ..

لم يستطع إتمام عبارته ، ففغر فاه على نحو مثير للدهشة والشفقة ، وهو يدير عينيه فى المكان ، متمتمًا :

ـ ولكن .. إننى ...

أمسك (نور) كتفيه ، وهزَّه فى قوة ، متسائلاً :

ـ ماذا حدث يا (أكرم) ؟! ماذا أصابك يا رجل ؟!

نقل (أكرم) بصره إليه بحركة حادة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يهزّ رأسه فى عنف ، قائلاً :

ـ لا .. لن تصدقنى يا (نور) .

صاحت به (سلوى) فى غضب :

ـ ماذا دهاك ؟! كنت ستطلق النار على (نشوى) .

هتف مستنكرًا :

ـ أنا ؟!

اندفع (رمزى) إلى المكان ، فى هذه اللحظة ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث ؟! لماذا صرخت (نشوى) .

بدا التوتر على وجه (نور) ، وهو يتطلَّع إلى (أكرم) ، فى حين ألقت (نشوى) نفسها بين ذراعى زوجها ، وانفجرت باكية ، وهى تهتف :

ـ لن يمكنك أن تصدق يا (رمزى) ! (أكرم) كاد يطلق النار علىّ .

هتف ذاهلاً :

ـ (أكرم) ؟!

اندفع (أكرم) يهتف ، وهو يلوّح بمسدسه فى عصبية :

ـ لقد أسأتم الفهم يا رفاق .. إننى لم أحاول الإساءة إلى (نشوى) قط .. لقد كنت أدافع عنها .

سأله (نور) فى اهتمام قلق :

ـ ضد من ؟!

أشار (أكرم) بسبّابته نحو (نشوى) ، وبدا لحظة وكأنه سيهتف بكلمة ما ، إلا أن الحيرة لم تلبث أن سيطرت عليه مرة أخرى ، وهو يتراجع ، متمتمًا :

ـ بل قل ضد ماذا ؟!

تطلّع إليه الجميع ، فى مزيج من الدهشة والحيرة ، قبل أن تهتف (سلوى) فى غضب عصبى :

ـ (أكرم) .. لست أفهم لماذا فعلت هذا ، ولكن ...

قاطعها (أكرم) فجأة ، فى توتر بالغ :

ـ إنه ذلك الظل .

تبادلوا نظرة دهشة ، قبل أن يسأله (نور) فى حذر :

ـ أىّ ظل ؟!

أجابه فى عصبيّة :

ـ ظلّ أسود كثيف ، أشبه بسيلويت نصف شفاف ، شىء له تكوين شبه بشرى ، برز بغتة من الجدار ، واندفع نحو (نشوى) ، و ...

ارتبك لحظة ، وكأنما عجز عن وصف ما رآه ، قبل أن يهتف محنقًا :

ـ لقد كنت أحاول حمايتها منه .

ران على المكان صمت رهيب ، بعد أن نطق عبارته الأخيرة ، وتبادل الجميع نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يتلفتوا حولهم فى قلق ، وتغمغم (سلوى) :

ـ أى قول هذا يا (أكرم) ؟! لا ريب فى أنها تلك الأضواء الكاشفة ، التى نستخدمها لفحص المكان ، بسبب انقطاع التيار الكهربى عنه ، بعد ذلك الانفجار .. لقد ألقت ظلّ أحدنا هنا أو هناك ، أو ...

قاطعها فى حزم :

ـ لا يا (سلوى) .. ما رأيته لم يكن مجرد ظلّ منعكس ..

وأعاد مسدسه إلى حزامه ، وهو يلوّح بذراعيه ، مستطردًا :

ـ ما رأيته كان .. كان ...

عاوده الارتباك والاضطراب ، وأطلّت حيرة واضحة من عينيه ، قبل أن يهتف فى عصبية شديدة :

ـ كان شيئًا مختلفًا .

مرة أخرى حدّقوا جميعًا فى وجهه ، بدهشة تمتزج بالحيرة والقلق والخوف .. قبل أن تهزّ (سلوى) رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ إنها مجرّد هلوسة بصريّة ، أو ...

قاطعها (نور) فى حزم :

ـ لا يا (سلوى) .

التفتت إليه فى قلق ، فتابع بسرعة :

ـ (أكرم) ليس بالشخص الذى يعجز عن تمييز الفارق ، بين الوهم والحقيقة ، وما دام يقول : إنه قد رأى شيئًا مختلفًا ، فقد رآه حتمًا ، وعجزنا عن تفسير ما رآه لا يعنى أنه مجرّد هلوسة بصرية .

تمتم (أكرم) ، وهو يطلق زفرة متوترة :

ـ أشكرك يا (نور) .

أما (نشوى) ، فقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تقول :

ـ أبى .. إنك تثير فى نفسى الفزع .

أجابها فى صرامة :

ـ لم يحن وقت اتخاذ القرار النفسى بعد .. (أكرم) رأى شيئًا مختلفًا بالتأكيد ، ولكن هذا لا يستحق أن نضطرب ، أو نصاب بالخوف والفزع ، قبل أن نتبيّن طبيعة الأمر ؛ فربما كان هذا امتدادًا للظاهرة الفيزيائية المجهولة ، التى نحن بصدد بحثها ، وحتى نصل إلى نتائج علمية ملموسة ، لن نقدّم تفسيرًا للأمر ، على أى نحو كان .

أشار لـ (رمزى) بيده إلى الخارج ، قائلاً :

ـ ربما كان هذا صحيحًا ومنطقيًّا ، من الناحية الرسمية يا (نور) ، ولكن يبدو أنك مضطر لتقديم تفسير إعلامى منطقى ، فقد بلغت صرخة (نشوى) مسامع الجميع فى الخارج ، و (مشيرة) لن تغادر المكان ، قبل أن تحصل على جواب منطقى للتساؤلات ، التى دارت فى رءوس الجميع ، إثر سماعهم الصرخة .

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يقول :

- لا بأس .. سأخرج إليها .

أدار (أكرم) بصره فى وجوه الجميع ، قبل أن يقول فى توتر :

- خذنى معك .

تبعتهما (سلوى) ببصرها ، حتى غادرا المكان ، ثم هزّت رأسها ، قائلة :

- لست أصدّق أنه رأى هذا .

أجابها (رمزى) فى حزم :

- ولكنه مقتنع بأنه قد رآه بالفعل .

ثم التفت إليها ، مستطردًا :

- وهذا رأى خبير .

« لقد رأيته يا (نور) .. »

نطق (أكرم) العبارة فى عصبية ، وهو فى طريقه إلى الخارج مع (نور) ، الذى أومأ برأسه إيجابًا ، وغمغم :

- أنا واثق من أنك قد رأيت شيئًا ما يا (أكرم) .

هتف (أكرم) :

- بل شيئًا رهيبًا .. رهيبًا للغاية يا (نور) .. أنت تعرفنى جيدًا .. إننى لست بالشخص الذى يصاب بالفزع

بسهولة ، وعلى الرغم من هذا فذلك الظل جعل قلبى يقفز من موضعه ، ويسقط فى معدتى ، ودفع فى عروقى شعورًا رهيبًا بالخوف والهلع ، حتى إننى انتزعت مسدسى من حزامى ، وكدت أن أطلق النار عليه ، دون أن أنتبه إلى أن (نشوى) تقف خلفه مباشرة .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- ولماذا لم ير أحد سواك ذلك الظلّ يا (أكرم) ؟! بل لماذا لم تلمحه (نشوى) نفسها ، وهو يندفع نحوها ؟!

أطلّت الحيرة من كل خلية من خلاياه ، وكل حرف من كلماته ، وهو يقلب كفيه ، متمتمًا :

- لست أدرى .. صدقنى .. لست أدرى ..

تنهّد (نور) ، وأومأ برأسه متفهمًا ، وهو يخرج من الفيلا ، فى مواجهة الجماهير المحتشدة ، ولم تكد (مشيرة) تلمحه ، حتى اندفعت نحوه ، هاتفة :

- سيادة المقدّم (نور) .. الجميع هنا يتساءلون عما يحدث بالداخل ، وعن سر تلك الصرخة الأنثوية ، التى انطلقت منذ دقائق .. تُرى هل يعنى هذا أن هناك خطرًا آخر فى الطريق .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس إلاّ إذا اعتبرت أن رد فعل أنثويًا تلقائيًا يعد خطرًا .

سألته فى اهتمام :

ـ ما الذى تعنيه برد فعل أنثوى تلقائى ؟

أجاب فى سرعة ، وكأنه يتوقّع السؤال :

ـ إنه مجرّد فأر صغير ، قفز فى وجه واحدة من عضوات الفريق ، فأطلقت صرخة فزع .

كان من الواضح أن هذا الجواب لم يقنع أحدًا من الحاضرين ، إذ تبادلوا نظرات ملؤها الشك والاستنكار ، اللذين حوّلتهما (مشيرة) إلى هتاف معترض ، وهى تقول :

ـ فأر صغير ؟! هل تحاول إقناعنا بأن تلك الصرخة القوية كانت نتاج رؤية فأر صغير ؟! ألا تدرك أن ما يعنيه هذا هو أن أمننا العلمى فى يد فريق محدود ، يصاب أفراده بكل هذا الفزع ، لرؤية فأر صغير ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ لو راجعت معلوماتك ، لأدركت أننا فريق علمى يا سيّدة (مشيرة) ، ولسنا إحدى فرق الكوماندوز

المقاتلة ، والعقل والمنطق لا يفترضان أن يتمتّع العلماء بشجاعة وبسالة الأسود .. المهم عندى أن يؤدوا دورهم بنجاح ، ثم يتركوا الأعمال العنيفة بعدئذ للمختصين .

تطلّعت إليه لحظة فى شك ، قبل أن تقول :

ـ قل لى يا سيادة المقدّم : لماذا أرفض تصديق ما تقول ؟!

أجابها بنفس الصرامة :

ـ هذا شأنك ، ولكنك لو راجعت منطقك ، لأدركت أن السيّدتين الوحيدتين بالداخل هما زوجتى وابنتى ، ولو أن هناك أدنى خطر يتهدّدهما ، لما كنت واقفًا أتحدّث إليك الآن .

كان منطقه سليمًا تمامًا هذه المرة ، فارتبكت لحظة ، قبل أن تقول :

ـ ليس هذا ما اعتدناه .

سألها (أكرم) فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته فى عصبية مماثلة :

ـ أعنى أننا قد اعتدنا ، كلما كانت هناك حادثة

غامضة ، ترتبط بظهور فريقكم ، أن نواجه أحداثًا مخيفة عجيبة ، وخصوصًا لا قبل لنا بهم .. باختصار ، عندما نسمع إحدى عضوات الفريق ، وهى تطلق صرخة فزع ، داخل فيلا عالم شهير ، لقى مصرعه فى ظروف غامضة ، ارتبطت بأحداث خارقة للطبيعة ، فمن الطبيعى أن نرفض تصديق ذلك التفسير الساذج ، الذى حاول المقدَّم (نور) أن يقدِّمه لنا ، حول الفئران الصغيرة ، وردود الفعل الأنثوية .

سألها (نور) فى ضيق :

ـ وما الذى يمكنك تصديقه ؟!

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ أى شىء آخر .. تفسير أكثر أناقة .. أو حتى أكثر إثارة .. لِمَ لا يكون سبب تلك الصرخة هو رؤيتها لمخلوق من كوكب آخر مثلاً ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة محنقة ، على شفتى (نور) ، وهو يقول :

ـ أى تفسير عجيب هذا الذى ...

قاطعته بغتة صرخة الأستاذ (حسن) المذعورة :

ـ ربَّاه ! هذا صحيح .

استدارت العيون كلها إليه ، فى تساؤل قلق ، فاستدار ، وجسده كله يرتجف فى هلع :

ـ الآن تذكَّرت أوَّل كلمة ، نطق بها الدكتور (وائل) ، عندما أسرعت إليه .

وشحب وجهه بسرعة مدهشة ، وزاغت عيناه ، وهو يكمل :

ـ لقد هتف : إنهم هنا .

ولم ينبس أحد الموجودين بحرف واحد ..

فقد هوت العبارة على رءوسهم كالصاعقة ..

أو أشدّ هولاً :





٣ ـ فيض الطاقة ..

أطلق المدير الليلى لشبكة الكهرباء الرئيسية ، لمدينة (السادس من أكتوبر) ، ضحكة عالية ، وهو يطالع ذلك الكتاب الهزلى فى يده ، قبل أن يلتفت إلى مساعده ، هاتفًا :

ـ يا لها من دعابة !! سلسلة القصص الهزلى الجديدة هذه مضحكة للغاية ! لم أقرأ فى حياتى كلها ما هو أفضل منها .

ابتسم مساعده ، مغمغمًا فى ضجر :

ـ بالتأكيد .

هتف المدير فى حماس :

ـ هل سمعت هذه الدعابة الجديدة ؟! رجل طويل القامة للغاية ، خرج لـ ...

واصل المدير إلقاء الدعابة ، التى قرأها فى الكتاب الجديد ، دون أن يبالى المساعد بسماع حرف واحد منها ..

فبالنسبة إليه ، لم يكن هناك جديد على الإطلاق ، فى تلك اللية ..

إنها تشبه كل الليالى السابقة ..

وربما القادمة أيضًا ..

وياله من عمل ممل !

كل ما عليه أن يفعله ، هو أن يجلس أمام لوحات المراقبة الإليكترونية ، داخل تلك الحجرة الكبيرة ، ذات الجدران الزجاجية ، ليتابع كل ما يحدث ، خلال فترة الليل ، من الثامنة مساءً ، وحتى الثامنة صباحًا ..

ولأن محطات توليد الكهرباء الحديثة تدار بالطاقة النووية ، ويشرف على تشغيلها جهاز كمبيوتر عملاق ، تبلغ نسبة الأخطاء فيه واحد لكل مائة مليون ، فإن الأمور تسير فى هدوء ، وبلا أية مفاجآت ، منذ إنشاء المحطة ، وحتى هذه اللحظة ..

وهذا يعنى أنه لا يجد ما يفعله طوال الليل ..

وبالإضافة إلى هذا ، فهو مضطر للبقاء متيقظًا ، واحتمال ثقل ظلّ مديره ، وسماع دعاباته السخيفة السمجة ، و ...

« ما رأيك فى هذه الدعابة ؟ »

قطع المدير أفكاره بهذه العبارة ، قبل أن ينفجر ضاحكًا ، وكأنما راقت له دعابته نفسها ، فاغتصب مساعده ابتسامة باردة ، وهو يقول فى ضجر :

ـ رائعة .

سأله المدير فى دهشة :

ـ لماذا لم تضحكك إذن ؟!

هتف المساعد فى حماس مصطنع :

ـ من قال هذا ؟!

واستدار إليه ، وهو يرسم على وجهه ضحكة كبيرة ، و ...

وفجأة ، تجمَّدت هذه الضحكة على شفتيه ، وهو يحدِّق فى نقطة ما ، عبر الجدار الزجاجى لحجرة المراقبة ، قبل أن يهتف بدهشة كبيرة :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

استدار المدير بسرعة ، إلى حيث يحدِّق مساعده ، ثم لم يلبث أن هبَّ من مقعده ، هاتفًا بدوره :

ـ رباه ! ما الذى يفعله هذا المجنون ؟!

هذا لأنه على مسافة مائة متر فحسب من المكان ، كان المهندس (ناجى) ، كبير مهندسى الأعطال

بالشبكة ، يتسلَّق أحد أبراج الضغط العالى ، فى نشاط عجيب ، وكأنه يسعى للوصول إلى قمته بأى ثمن ..

وبقفزة واحدة ، اختطف المدير سمَّاعة جهاز التنبيه الداخلى ، وهتف عبر مكبرات الصوت ، التى تنتشر فى المكان كله :

ـ مهندس (ناجى) .. ما الذى تفعله بالضبط ؟

لم يبد حتى أن المهندس قد سمعه ، على الرغم من تردُّد صوته فى المحطة بأكملها ، وإنما واصل تسلُّقه بنفس النشاط ، حتى بلغ جسرًا ضيقًا ، يمتدّ بين ذلك البرج ، وأحد أبراج الضغط العالى الأخرى ، مرورًا بوحدة التوليد الرئيسية ، التى تعمل طوال الوقت ..

وبكل الذعر والاستنكار ، هتف المدير عبر جهاز التنبيه :

ـ احترس يا (ناجى) .. احترس يا ولدى .. إنك حتى لا تحيط جسدك بحبل الطوارئ .

ومرة أخرى ، بدا وكأن المهندس (ناجى) لم يسمعه قط ، وهو يتعلَّق بذلك الجسر الرفيع ، الذى يستخدم لنقل الأدوات الثقيلة عبر المحطة ، ثم وثب يعتليه ، ووقف فوقه لحظة ، قبل أن يسير فوقه فى هدوء وثبات ..

واتسعت عينا المدير فـى ذهول ، فى حين أطلق مساعده شهقة قوية ، وهو يهتف بصوت مرتجف :

- مستحيل !

فعلى الرغم من أن عرض ذلك الجسر المعدنـى لم يكن يزيد عن ثلاثين سنتيمترًا ، مكونَة من مستويين متعارضين ، إلا أن المهندس (ناجى) كان يسير فوقه بلا أدنى خوف أو تردُد ، على ارتفاع عشرين مترًا من وحدة التوليد الرئيسية ، وكأنه يتجه إلى هدف محدود ، يعرفه ويحفظه جيدًا ..

وبكل قوته ، انتزع المساعد نفسه من ذهوله ، واندفع يعدو خارج حجرة المراقبة ، وهو يهتف :

- لقد جنّ المهندس (ناجى) .. جن بالتأكيد .

لم يكن يدرى لماذا اندفع خارج الحجرة ، بكل هذا الحماس ، إذ إنه يجهل تمامًا الذى ينبغى أن يفعله ، فى ظروف عجيبة كهذه ..

لذا ، فقد توقَّف ، على بعد عشرين مترًا من الحجرة ، وعاد يلتفت إلى ذلك الجسم المرتفع ، الذى توقَّف المهندس (ناجى) فى منتصفه ، فوق مركز وحدة التوليد الرئيسية بالضبط ، واعتدل ليواجه جانب الجسر فى هدوء ..

وبكل قوته ، هتف المساعد :

- لا يا (ناجى) .. لا تفعلها .. لا ..

وارتجفت الكلمات فى حلقه ، وعيناه تتسعان فى شدة ، عندما التفت إليه المهندس (ناجى) فـى هدوء ، وتطلَّع إليه بنظرة عجيبة ، وكأنه قد سمع هتافه هذا ..

وعلى الرغم من بعد المسافة ، خُيِّل للمساعد أن عينا المهندس (ناجى) قد تألقتا ببريق أحمر مخيف ، قبل أن يفرد ذراعيه على جانبى جسده ، ثم يميل إلى الأمام فى ثبات ، كلوح من الخشب .

وشهق كل العاملين بالمحطة ، فى ذعر ذاهل ، عندما هوى المهندس من ذلك الارتفاع ، وذراعاه إلى جانبى جسده ، وكأنه يزمع الطيران ، أو السقوط الحر ...

فى مركز وحدة التوليد الرئيسية بالضبط ..

ثم فجأة ، انطلق الجميع يعدون فى كل الاتجاهات ، وكأنما يسعون للنجاة ، أو الفرار من خطر ، لا يدركون ماهيته بالضبط ..

ولكن المهندس (ناجى) سبقهم إلى السقوط ..



وشهق كل العاملين بالمحطة ، فى ذعر ذاهل ، عندما هوى المهندس من ذلك الارتفاع ..

وهوى بين عشرات الأسلاك وكابلات الكهرباء الضخمة السميكة ..

ودوت فى المكان فرقعة هائلة ..

ثم تضاعفت شدة التيار على نحو مباغت عنيف ، تفجَّرت معه شاشات المراقبة ، وكابلات الكهرباء العادية ، وتطايرت إثره شرارات كهربية مخيفة فى كل مكان ..

وبعدها انقطع التيار الكهربى دفعة واحدة ..

وساد الظلام الدامس ..

ظلام رهيب ..

ومخيف ..

للغاية !!

★ ★ ★

لم يكد الأستاذ (حسن) ينطق عبارته ، التى ذكر فيها كلمات الدكتور (وائل) الأخيرة ، حتى سادت موجة من الهلع والذعر فى المكان ، وهتف أحد الناس فى ارتياع :

ـ ما الذى كان يعنيه بهذا ؟! ما الذى فعله ذلك المجنون ، قبل أن يلقى مصرعه ؟! ما الذى فعله بنا ؟!

وصاح آخر :

ـ هل ستغزو المخلوقات المخيفة مدينتنا ؟!

وراح الجميع يتراجعون مذعورين ، وكأنهم يخشون الاقتراب من الفيلا المصابة ، في حين هتفت (مشيرة) :

ـ ما تعليقك على هذا أيها المقدَّم (نور) ؟! ما الذي يعنيه قول الدكتور (وائل) هذا ؟!

تجاهل (نور) سؤالها هذه المرة ، وهو يهتف :

ـ لا داعي للخوف والذعر دون مبرِّر .. إنها مجرَّد عبارة ، قد لاتعني شيئًا على الإطلاق .. لا تصنعوا ذعركم بأنفسكم .. الأمر لا يعدو كونه ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، سرى فيض من الطاقة بغتة ، في مصابيح الإضاءة وكل الأجهزة المحيطة بالمكان ، فتفجَّرت المصابيح بدوي مخيف ، جعل الناس يطلقون صرخات الفزع ، ويعدون مذعورين في كل اتجاه ، قبل أن ينقطع التيار الكهربي دفعة واحدة ..

ومع انقطاعه ، تضاعفت حالة الذعر والفزع ، لتبلغ حدَّها الأقصى ، وبدا الأمر أشبه بانهيار نفسي عام ، كما يحدث عند وقوع هجوم عسكري مباغت ،

على فريق من المدنيين ، حتى إن بعضهم اصطدم بـ (مشيرة) ، وأوقعها أرضًا ، وحطمَّ آلات التصوير ، وكاد البعض الآخر يطؤها بقدميه ، لولا أن انتزعتها يدا (أكرم) من مكانها في سرعة ، وهو يهتف :

ـ احترسي .

تعرَّفت صوته على الفور ، وسط الظلام الدامس ، فهتفت :

ـ كيف ؟ كيف وجدتني ، وسط هذا الظلام ؟!

أجابها ، وهو يجذبها بعيدًا :

ـ قلبي أرشدني إليك .

مع آخر حروف كلماته ، أضاء (نور) مصباحه اليدوي القوي ، وهو يصيح :

ـ رويدكم يا سادة .. إنه مجرَّد انقطاع للتيار الكهربي .. رويدكم .

ولكن أحدًا منهم لم يسمعه ..

كان الجميع يحاولون بلوغ منازلهم ، والاحتماء بها ، إلا أن الظلام الدامس جعلهم يتخبط بعضهم بالبعض ، ويصطدمون ، ويسقطون تحت الأقدام ، و ...

« كفى » ..

صرخ (أكرم) بالعبارة ، وهو يطلق رصاصات مسدسه فى الهواء ..

ومع دوى الرصاصات ، تجمَّد الجميع فى أماكنهم .. والتفتوا إلى ضوء مصباح (نور) اليدوى ..

ومع الهدوء العجيب ، الذى ساد المكان ، إثر طلقات الرصاص ، أضاء رجال الشرطة مصابيحهم اليدوية بدورهم ، وبدأت الرؤية تتضح نوعًا ما ، تحت الإضاءة الخافتة ..

وفى حزم ، هتف (نور) :

ـ من العار أن يصيبكم كل هذا الذعر ، لمجرَّد انقطاع طارئ فى التيار الكهربى .

صاح به أحدهم غاضبًا :

ـ لقد أصابكم الذعر من فأر صغير .

هتف (نور) :

ـ ولكننا لم نفقد عقولنا ، أو سيطرتنا على أعصابنا ، حتى كدنا أن يفتك بعضنا بالبعض ، على هذا النحو .

انتابهم جميعًا شعور بالخجل والأسف ، وانخفضت عيونهم أرضًا ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، فتابع (نور) فى صرامة :

ـ أعلم أن هذا لم يحدث من قبل .. منذ إنشاء هذا الحىّ على الأقل ، ولكن هذا لا يعنى أنه مستحيل الحدوث .. أىّ عطب مفاجئ فى إحدى وحدات التوليد الرئيسية ، يمكن أن يسبب انقطاعًا شاملاً للتيار ، ولكن المحطات مجهَّزة بحيث لا يستمر هذا لأكثر من دقائق عشر ، يتمّ بعدها نقل الخطوط الرئيسية إلى وحدة أخرى ، لإعادة سريان التيار الكهربى ، حتى يتمّ إصلاح عطب الوحدة الرئيسية .. اطمئنوا ..

هتفت (مشيرة) فى حنق :

ـ وبعد أن يطمئنوا .. من سيدفع ثمن آلة التصوير المحطَّمة ؟!

أجابها (أكرم) ساخرًا :

ـ ضعوا ثمنها فى خانة خسائر الجريدة .

همست فى عصبية :

ـ هذا ما يحدث فى المعتاد أيها العبقرى .

أمسك كتفيها فى حنان وهو ينحنى ليهمس فى أذنها :

ـ حبيبتى إذن محتالة كبيرة .

قالت فى صرامة :

ـ لا تحاول خداعى بكلمات معسولة .. إننى لم أنس بعد كلماتك القاسية هذا الصباح .

ثم استدركت فى دلال :

ـ ولكننى سأتظاهر بنسيانها .

ضحك هامسًا :

ـ اتفقنا .

ومع آخر حروف كلماته ، انبعث أزيز خافت من مصابيح الشارع ، فقال (نور) :

ـ التيار الكهربى عاد أيُها السادة ، ولكن مصابيح الإضاءة تحتاج إلى تغيير .. عودوا إلى منازلكم ، وابقوا فيها الليلة ، حتى تتضح الأمور ، ولا تنسوا استبدال المصابيح ، وفحص أجهزتكم الكهربية .

هتف أحدهم ، وهم ينسحبون إلى منازلهم :

ـ سنقاضى مؤسسة الكهرباء ، لو أن فيض الطاقة الزائد هذا قد أفسد أجهزتنا الإليكترونية .

تمتم (نور) :

ـ هذا حقكم ، من الناحية القانونية .

بدأت المصابيح الاحتياطية فى الشوارع تسطع من جديد ، والجميع يستقرون فى بيوتهم ، وهتفت (مشيرة) :

ـ نور .. إننى لم أصدق قصة الفأر هذه .

أجابها فى صرامة :

ـ كان ينبغى أن تصدقيها يا (مشيرة) .. أمام الناس على الأقل .

قالت فى عناد :

من حق الناس أن تعلم الحقيقة .

أجابها فى ضيق :

ـ عبارة أنيقة يا (مشيرة) ، ولكنها لا تعنى الحقيقة دائمًا ، فالسؤال الذى ينبغى طرحه هو : ما الذى يمكن أن يحدث ، عندما يعلم الناس الحقيقة ؟! هل سيكون هذا لصالحهم أم ضدهم ؟! ثم ما الذى يفيد ، عندما ننشر حالة من الذعر والفزع بين الناس ، قبل أن نتبيَّن نحن أنفسنا ما هى الحقيقة ؟! تُرى هل سيساعدنا هذا على التوصّل إليها ؟! هل سيساعد الناس على أن يواصلوا حياتهم ، وأعمالهم ، ويسيرون فى ركب الحياة ، أم سيؤدى إلى توقُّف حركة العمل والإنتاج والتنمية ، والإساءة إلى الاقتصاد القومى ؟! هذا هو السؤال الحقيقى يا (مشيرة) .

ثم اكتسب صوته صرامة شديدة ، وهو يقول :

ـ اطرحيه على نفسك يا (مشيرة) .. على عقلك .

وتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، مضيفًا فى حزم :

ـ على ضميرك .

انفرجت شفتاها فى ارتباك ، دون أن تنطق حرفًا واحدًا ، وتعلَّق بصرها بـ (نور) ، الذى ألقى كلماته ، واستدار عائدًا إلى داخل الفيلا ، لينضَم إلى زوجته وابنته و(رمزى) ، فغمغم (أكرم) :

ـ أعتقد أنه على حق .

غمغمت فى توتر :

ـ الناس ينبغى أن تعلم .

ثم انتفض جسدها ، قبل أن تضيف فى عناد :

ـ هذا واجبى .

واندفعت نحو سيارة الجريدة ، هاتفة فى عصبية :

ـ ماذا تنتظرون ؟! أحضروا آلة التصوير الاحتياطية .. لدينا الكثير من العمل الليلة .

هزَّ (أكرم) رأسه ، متمتمًا :

ـ يا للعناد !

اندفع (نور) إليه ، فى تلك اللحظة ، وهو يقول :

ـ هيا بنا .

سأله فى دهشة :

ـ إلى أين ؟!

أجابه (نور) ، وهو يندفع إلى سيارته :

ـ يبدو أن هذه الليلة ستحمل الكثير من الأحداث .. الكثير جدًا .

قفز الاثنان إلى سيارة (نور) ، التى انطلق بها هذا الأخير على الفور ، فسأله (أكرم) فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟!

تنهَّد (نور) ، مجيبًا :

ـ الكثير يا (أكرم) ... ففى المستشفى العام ، عادت جثة إلى الحياة ، وقتلت عامل المشرحة ، وأثارت موجة من الذعر ، فى المكان كله .

هتف (أكرم) ذاهلاً :

ـ جثة عادت إلى الحياة ؟! أى قول هذا يا (نور) ؟! أهو أحد أفلام الرعب السخيفة أم ماذا ؟!

قال (نور) ، دون أن يجيب تساؤله :

ـ وفى شبكة الكهرباء الرئيسية ، أصيب مهندس شاب رصين ، هادئ الطباع ، بنوبة جنون مباغتة ، وألقى نفسه داخل وحدة التوليد الرئيسية .

هتف (أكرم) :

ـ أهذا سبب ما حدث الليلة ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ ربما يا (أكرم) .. ربما ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى توتر بالغ :

ـ كل ما أتمناه ، هو ألا يكون نتيجة لما حدث الليلة .

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة ..

لقد فهم ما يعنيه (نور) بقوله هذا ..

فهم ..

وارتجف ..

★ ★ ★

« لا أحد يمكنه تصديق أو استيعاب ما حدث .. »

نطق مدير شبكة الكهرباء بالعبارة ، وهو يلوّح بذراعيه فى توتر ، مستطردًا :

ـ المهندس (ناجى) عاقل ورصين دائمًا .. ولم يقدم على أية حماقات طيلة عمره ، حتى إننا نشعر وكأن ذلك الذى انتحر ، كان شخصًا آخر .

انفرجت شفتا مساعده لحظة ، ثم لم يلبث أن أطبقهما فى توتر ، فأشار إليه (نور) ، قائلاً فى هدوء :

ـ ماذا أردت أن تقول ؟!

ارتبك الشاب ، قائلاً :

ـ لا .. لا شىء يا سيادة المقدّم .

كررً (نور) ، وقد تسلّل الحزم والصرامة إلى صوته :

ـ ماذا أردت أن تقول ؟!

ارتبك المساعد أكثر ، ونهض من مقعده فى عصبيّة ، وراح يفرك كفيه ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، قائلا فى اندفاع :

ـكنت أريد أن أقول : إن الذى حدث لم يكن انتحارًا .

هتف المدير فى استنكار :

ـ ماذا ؟!

أشار إليه (نور) فى حزم ، وهو يسأل المساعد :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟!

اندفع المساعد يقول ، وكأنه يلقى كل ما لديه ، قبل أن يمنعه الخوف من الاستمرار :

ـ أعنى أن ذلك الذى ألقى نفسه فى مركز وحدة التوليد الرئيسية ، لم يكن المهندس (ناجى) الذى نعرفه .. بل كان شخصًا آخر .

صاح المدير فى غضب :

ـ هل تعلم ما يعنيه قولك هذا ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلا فى صرامة :

ـ يعنى أن مساعدك لديه معلومات مهمة ، يمكن أن تفيد العدالة ، وأنك تحاول منعه من منحنا هذه المعلومات .

امتقع وجه المدير ، وهو يقول فى ارتباك :

ـ مطلقًا يا سيادة المقدّم .. مطلقًا .. كل ما فى الأمر أن قوله قد يشير إلى أن شخصًا غريبًا قد دخل إلى الشبكة ، وهذا أمر مخالف للقانون .

هتف المساعد :

ـ أنا لم أقصد هذا مطلقًا .

سأله (أكرم) :

ـ ما الذى كنت تقصده إذن ؟!

أجابه المساعد فى سرعة :

ـ كنت أقصد أن المهندس (ناجى) ، الذى تسلّق برج الضغط العالى ، وسار على جسر التوصيل ، وألقى نفسه داخل مركز وحدة التوليد الرئيسية ، لم يكن هو المهندس (ناجى) ، الذى أعرفه منذ خمس

سنوات .. لقد بدا الليلة وكأنه شخص آخر .. شخص لا يربطه بالمهندس (ناجى) الذى نعرفه سوى الشكل الخارجى فحسب .. شخص آخر ، جرىء ، جسور .. لا يبالى بالموت والحياة .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

ـ شخص لم يعد يشعر بمن حوله ، وبما حوله .

ثم هتف ملوّحًا بيده :

ـ إنكما لم تريا كيف سار فوق ذلك الجسر الضيق !! لقد تحرّك فوقه فى خفة وسرعة ، كما لو أنه يسير على طريق واسع ممهّد ، فى حين أن السير عليه مستحيل تقريبًا .

تبادل (نور) و(أكرم) نظرة سريعة ، قال الأخير بعدها فى حزم :

ـ هناك وسيلة واحدة للتأكُّد من هذا .

قالها ، وانطلق خارج المكان فى عزم ، فهتف المدير متوترًا :

ـ ماذا سيفعل ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ لا تقلق نفسك بشأنه .. إنه يعلم ما عليه أن يفعله .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يتابع فى قلق (أكرم) ، الذى اتجه بخطوات واسعة سريعة نحو برج الطاقة ، فى حين سأل (نور) المساعد فى اهتمام :

- هل تعتقد أن المهندس (ناجى) كان يعانى أية مشكلات ، فى المنزل أو العمل ، قد تدفعه إلى الانتحار ؟!

هزَّ المساعد رأسه فى قوة ، مجيبًا :

- على العكس .. لقد كان ناجحًا فى عمله وزواجه ، ثم إنه لو أراد الانتحار ، فلماذا تكبَّد كل هذه المشقة ؟! كان يكفى أن يدفع سبابته ووسطاه فى أى مخرج للتيار الكهربى ، ليقضى نحبه فى الحال .

هتف المدير ، فى هذه اللحظة :

- رباه ! زميلك يتسلَّق برج الضغط العالى .

أشار إليه (نور) بيده ، قائلاً فى حزم :

- لا تقلق نفسك بشأنه .

ثم عاد يقول للمساعد :

- ربما أراد إعلان انتحاره أو احتجاجه على أمر ما .. بعض المنتحرين يفعلون هذا ، كوسيلة لإخبار العالم أنه المسئول عن انتحارهم .

هزَّ المساعد رأسه فى قوة ، وهتف :

- المهندس (ناجى) لم يكن يفكِّر فى الانتحار على الإطلاق ، بدليل أنه قام صباح اليوم فقط بحجز وحدة من الوحدات السكنية التابعة للمؤسسة ، فى هذه المدينة ، وقال إنه سيقيم أخيرًا ، بالقرب من محل عمله .. والشخص البعيد النظر كهذا ، لا يقدم قط على الانتحار .. ليس فى الليلة نفسها على الأقل .

صرخ المدير :

- يا إلهى ! إنه يهمّ بالسير على الجسر الضيق .

ألقى (نور) عليه نظرة لا مبالية ، قبل أن يدنى ساعته من شفتيه ، قائلاً :

- ماذا وجدت ؟!

أتاه صوت (أكرم) ، مجيبًا :

- المساعد كان على حق .. السير على ذلك الجسر الضيق عسير للغاية .

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

- فليكن .

هتف المدير ، وهو يشير إلى رأسه فى عصبية :

- إنكم مجانين بالفعل يا رجال المخابرات .

تجاهل (نور) قوله تمامًا ، وهو يسأل المساعد :

- أهذا كل ما لديك يا رجل ؟!

تردَّدَ المساعد لحظة ، قبل أن يجيب فى حذر :

ـ نعم .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا تتردَّد فى البوح بأى شىء ، مهما بدا لك تافهًا أو عجيبًا .

تطلَّع إليه المساعد لحظة فى توتر ، ثم لم يلبث أن حسم أمره ، واندفع يقول :

ـ هناك أمر صغير ، لايمكننى الجزم بحدوثه ، ولكن .

قاطعه (نور) :

ـ هات ما لديك ، واترك لنا تقرير الأمر .

ازدرد المساعد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول :

ـ كانت المسافة بيننا كبيرة ، عندما هتفت أناديه ، ولكنه عندما استدار إلىَّ ، كانت عيناه تبرقان ببريق عجيب مخيف ..

وجفَّ حلقه بشدة ، وهو يضيف :

ـ بريق أحمر .

نطقها وكل ذرة فى كيانه ترتجف ..

كل ذرة ..

★ ★ ★

« ولماذا أقلقك هذا البريق المزعوم ؟! »

ألقى (أكرم) سؤاله فى حيرة ، وهما ينطلقان بالسيارة إلى المستشفى ، بعد أن راجعا كل الأمور ، فى شبكة الكهرباء الرئيسية ، فأجابه (نور) متوترًا :

ـ لأن البريق الأحمر ، عامل مشترك يا (أكرم) ، بين حادثى المستشفى وشبكة الكهرباء .

ردَّدَ (أكرم) فى حذر :

ـ عامل مشترك ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ نعم يا (أكرم) ، فتلك الجثة ، التى عادت إلى الحياة ، وسبَّبت كل هذا الذعر فى المستشفى ، كانت عيناها تبرقان ببريق أحمر أيضًا .

تراجع (أكرم) فى مقعده بعنف ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !

ثم عاد يعتدل بحركة حادة ، مستطردًا :

ـ ما الذى يعنيه هذا يا (نور) ؟!

زفر (نور) فى توتر بالغ ، وهو يغمغم :

ـ لست أدرى يا (أكرم) .. صدقنى لست أدرى .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ ولكننى أشعر بالخوف .

لم يتبادلا كلمة واحدة ، بعد عبارة (نور) الأخيرة ، إلا أن (أكرم) بدأ يشعر بتوتر لاحدود له ، والسيارة تنطلق بهما فى الطريق المظلم ..

وفى كل بقعة ، خارج ضوء مصباحى السيارة ، بدا له وكان عشرات الظلال نصف الشفّافة تنبع منها ، وتحاول الانقضاض عليهما ، و ....

وفى قوة ، نفض عن نفسه هذه الأوهام ، وتشبث بمقعده فى صمت ، حتى بلغت السيارة المستشفى ..

وهناك بدا جو التوتر والخوف واضحًا ملموسًا ، فى الوجوه الشاحبة ، والنظرات الزائغة ، وبقعة الدم الكبيرة ، التى لم تتم إزالتها بعد ، فى الممر الرئيسى ..

الوحيد ، الذى بدا متماسكًا إلى حد ما ، كان ذلك الضابط ، الذى أوقف تلك الجثة المتحركة ، الذى روى لـ (نور) و(أكرم) ما حدث بكلمات موجزة ، مؤكدًا أن تقريره الرسمى سيتضمّن كل التفاصيل ..

أما المهندس (شريف) ، فقد بدا منهارًا تمامًا ، وغير قادر على الإدلاء بحرف واحد ..

وكذلك كان حارسًا الأمن ..

لذا فقد قرَّر (نور) أن يرجئ الاستجواب كله ، وهو يسأل الضابط :

ـ وأين تلك الجثة الآن ؟!

أشار الرجل بيده ، مجيبًا :

ـ أعادوها إلى المشرحة .

قال (نور) فى حزم :

ـ أليس من المفترض أن يبقى كل شىء على ما هو عليه ، حتى تتم المعاينة الرسمية ؟!

أومأ الضابط برأسه موافقًا ، قبل أن يجيب :

ـ هذا صحيح ، ولكن الأوامر وصلت بتصوير مسرح الحادث ، وإعادة الجثة إلى المشرحة ، فور وصول الطبيب الشرعى ، الذى أرسلته إدارتكم ، حتى يمكنه القيام بعمله على الفور .

سأله (نور) فى دهشة :

ـ هل أرسلت الإدارة طبيبًا شرعيًّا بهذه السرعة ؟!

أومأ الضابط برأسه مرة أخرى ، وقال :

ـ نعم يا سيادة المقدّم .. إنه كبير الأطباء الشرعيين بنفسه .. الدكتور (محمد حجازى) .

وكانت مفاجأة جديدة ..

★ ★ ★

« (نور) .. تلميذى النجيب .. »

استقبل الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء

الشرعيين المصريين ، (نور) بهذه العبارة ، وبابتسامة كبيرة ، وهو يصافحه ويصافح (أكرم) ، مستطردًا :

ـ المشكلة الوحيدة هى أننا لا نلتقى أبدًا ، إلا مع الأحداث الرهيبة العنيفة ، أو الحوادث الغامضة المخيفة .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ هذا قدرنا .

أما (أكرم) ، فقد ألقى نظرة على الجثة ذات الرأس المقطوع ، والتى ظهرت فيها آثار الرصاصات ، وهو يسأل فى توتر :

ـ هل بدأت عملك بالفعل يا دكتور (حجازى) ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالتأكيد ، فمن الواضح أن الأمر يقلقهم كثيرًا فى (القاهرة) ، وهم يرغبون فى الحصول على تفسير منطقى ، فى أسرع وقت ممكن .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ وماذا عن ذلك البريق الأحمر ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

ـ دعنى ألق السؤال نفسه يا ولدى .. ماذا عنه ؟!

ثم أشار إلى الرأس المقطوع ، مستطردًا :

ـ إننى لم أفحص الرأس كله بعد ، ولكننى فحصت العينين بمنتهى الدقة .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وهل وجدتهما طبيعيتين ؟!

أجابه فى بساطة :

ـ إنهما تعانيان من قصر النظر ، والتهاب مزمن فى السائل الزجاجى ، ولكن فيما عدا هذا ، فهما عاديتان للغاية .

سأله (نور) :

ـ هل يمكن أن يكون ذلك البريق الأحمر نوعًا من الخداع البصرى إذن ؟!

قال الدكتور (حجازى) مستنكرًا :

ـ فى مثل هذه الإضاءة ؟! لا .. لست أظن هذا أبدًا يا (نور) .

ثم لوّح بيده ، مستطردًا :

ـ ولكن هذه ليست المشكلة .

سأله (أكرم) فى قلق :

ـ ما المشكلة إذن ؟!

أجابه ، مشيرًا إلى الجثة :

ـ تقرير الشرطة يقول : إن تلك الواقعة المفزعة قد حدثت ، منذ ساعة إلا عشر دقائق بالضبط ، وأن السبب فى وصول هذه الجثة إلى هنا ، هو أن صاحبها قد تعرَّض لحادث سيارة ، منذ ساعة وربع الساعة تقريبًا ، وهذا يعنى أنه إما أن قائد السيارة لم يمكنه تحديد الوقت بدقة ، أو أن تقرير الشرطة يحوى خطأ ما .

سأله (نور) فى حيرة :

ـ ولماذا تجزم بهذا يا دكتور (حجازى) ؟!

أجابه كبير الأطباء الشرعيين فى حزم وثقة :

ـ لأنه من المستحيل أن يكون صاحب هذه الجثة قد سار على قدميه ، ليعبر الطريق الجديد ، منذ ساعة وربع الساعة ، ولا حتى منذ ساعتين ..

همّ (نور) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الدكتور (حجازى) تابع فى صرامة :

ـ لأن هذا الرجل قد لقى مصرعه منذ ساعتين ... على الأقل .

وكانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة .

★ ★ ★

٤ ـ ليلة المفاجآت ..

تثاءب ضابط دورية الشرطة الجائلة فى ملل ، والسيارة تنطلق به ، مع ثلاثة من الجنود ، فى الطريق الرئيسى ، الذى يقود إلى (السادس من أكتوبر) ، فغمغم سائق السيارة بابتسامة متعاطفة :

ـ ليلة مضجرة يا سيِّدى .. أليس كذلك ؟!

ابتسم الضابط ، وهزّ رأسه إيجابًا ، ثم تثاءب مرة أخرى ، وقال :

ـ كل الليالى متشابهة ، ولكننى لم أحصل على قدر كاف من الراحة هذا الصباح .. إنها إجازة الأولاد ، وهم يملئون المنزل صخبًا وضجيجًا يوم إجازتهم .

تمتم السائق :

ـ أبقاهم اللّه (سبحانه وتعالى) لك .

تنهَّد الضابط ، واتسعت ابتسامته ، وهو يعتدل فى مجلسه ، مغمغمًا :

ـ أشكرك .

كان كل شىء يبدو هادئًا كالمعتاد ، والطريق خاليًا تقريبًا من السيارات ، على الرغم من الطقس المنعش ، فى تلك الليلة الدافئة ، ولكن سيارة الشرطة انطلقت بسرعتها المنخفضة نسبيًا ، حسبما تقتضى الأوامر ، و ...

وفجأة ، وثبت سيارة زرقاء عبر الطريق ، على نحو عنيف ، ومرقت أمام سيارة الشرطة بسرعة مخيفة ، قبل أن تنحرف بحركة حادة ، وإطاراتها تطلق صريرًا عاليًا ، ثم تنطلق عكس الاتجاه القانونى ..

وبكل قوته ، ضغط السائق فرامل سيارة الشرطة ، محاولاً تفادى الاصطدام ، فأطلقت إطاراتها بدورها صريرًا مخيفًا ، وهى تدور حول نفسها فى عنف ، قبل أن تتوقف إلى جانب الطريق فى اللحظة الأخيرة ، ويصدر محركها ضجة مزعجة ..

وهتف الضابط فى غضب :

ـ يا له من سائق أرعن مجنون ؟!

أدار السائق محرك السيارة مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ هل نلحق به ؟!

هتف به الضابط فى حدة :

ـ هل تسألنى ؟!

قالها ، وهو يضغط زرًا خاصًا ، فى تابلوه السيارة ، فتألق المصباح الأزرق المميز أعلاها ، وانطلق منها ذلك الصوت الخاص ، وهى تندفع خلف السيارة الزرقاء بأقصى سرعتها ..

ولكن قائد السيارة الزرقاء لم يتوقف ..

بل ، وحتى لم يبال بما يحدث ، وكأن سيارة الشرطة تطارد شخصًا سواه ..

أو كأنه لم ير سيارة شرطة فى حياته من قبل ..

ولم تنخفض سرعته قط ..

كما أنه لم يكن من الممكن أن تتزايد ..

هذا لأنه كان ينطلق بأقصى سرعة ، يمكن أن تسمح بها محركات السيارة بالفعل ..

وفى توتر ، غمغم سائق سيارة الشرطة ، وهو يحاول زيادة سرعتها :

ـ إنه مجنون .. لم أر فى حياتى كلها شخصًا يقود بهذه السرعة .. المحرك سيحترق منه حتمًا ، لو استمرّ على هذا .

غمغم الضابط ، وهو يحاول كتمان دهشته وحيرته وتوتره :

- ربما كانت سيارة مسروقة .

قال السائق فى إصرار :

- هذا لا ينفى أنه مجنون .

كان قائد السيارة الزرقاء ينطلق بالفعل بسرعة جنونية مخيفة ، وكأنما لا يبالى إطلاقًا بما يمكن أن يصيبه ، أو يصيب السيارة ..

وكان اللحاق به، وهو ينطلق بهذه السرعة مستحيلاً..

لذا ، فقد ضغط الضابط زر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وقال عبره فى حزم :

- من الدورية التاسعة إلى وحدة مراقبة الطريق .. سيارة زرقاء ألمانية الصنع تتجه نحوكم بسرعة مخيفة .. نحن نطاردها بلا أمل .. استخدموا حواجز الطريق الإليكترونية ، لمنعها من الاستمرار .

أتاه صوت زميله ، قائلاً :

- علم ، وسينفذ .

منحه زميله هذه الإجابة ، وأشار إلى رجاله على الفور ، قائلاً بلهجة آمرة :

- استخدموا الحواجز الإليكترونية .

أسرع الرجال يضغطون الأزرار ، فارتفعت حواجز معدنية عالية تسدّ الطريق ، مع إشارات حمراء تحذيرية ..

ولاحت السيارة الزرقاء من بعيد ، فى الوقت نفسه ..

وارتفع حاجبا ضابط مراقبة الطريق فى دهشة ، وهو يغمغم :

- رباه ! إنها تنطلق بسرعة خارقة بالفعل .

ثم التقط جهاز التحذير ، المتصل بمكبرات الصوت الكبيرة ، وقال بلهجة ، صارمة :

- الطريق مغلق بحواجز إليكترونية .. نرجو التوقف للتفتيش .. أكررّ : الطريق مغلق بحواجز إليكترونية .

ولكن السيارة الزرقاء لم تتوقّف ..

بل ولم تخفض حتى سرعتها ..

واتسعت عينا الضابط ، وهو يهتف :

- رباه ! مستحيل !

قالها ، ووثب من كشك المراقبة ، محاولاً الاحتماء بأى شىء ، وانطلق رجاله يعدون مبتعدين ، والسيارة

الزرقاء تندفع نحو الحواجز الإليكترونية بأقصى سرعتها ..

ثم ترتطم بها ..

وخيّل للجميع أن قنبلة هائلة قد انفجرت فى آذانهم ، مع عنف الارتطام ، قبل أن تطير السيارة الزرقاء فى الهواء ، ثم تهوى لترتطم بالأرض كقنبلة جديدة ، انفجرت بحق ، واشتعلت فيها النيران ..

وفى دهشة بلا حدود ، نهض الجميع من سقطتهم ، يتطلعون إلى السيارة المحترقة ، وقد اتسعت عيونهم عن آخرها ..

وبكل حيرة الدنيا ، تمتم الضابط :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

أجابه أحد جنوده ، وهو يحك شعر رأسه فى قوة :

ـ انتحار .. إنها حالة انتحار بالتأكيد .

وصلت سيارة الدورية فى تلك اللحظة ، وتوقّفت بصرير مزعج ، قبل أن يهبط ركابها ، وينضموا لقائمة المندهشين ، والسائق يغمغم :

ـ كنت أعلم أن النهاية ستأتى على هذا النحو .

هتف الضابط :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا يقتل نفسه بهذا الأسلوب العنيف ؟!

هزّ ضابط مراقبة الطريق رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. لقد كان ينطلق بسرعة رهيبة ، حتى إنه حطّم الحواجز الإليكترونية ، التى لا يمكن تحطيمها ، فى الظروف العادية(★) .

غمغم ضابط الدورية :

ـ ولكننى ما زلت أتساءل عن الـ ....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى السيارة المشتعلة فى ذهول ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! مستحيل !

وكان من الطبيعى أن يشاركه الجميع ذهوله هذا ...

فأمام أعينهم مباشرة ، ومن السيارة المحترقة ، خرج السائق فى هدوء ، والنيران تشتعل فى جسده

(★) حقيقة علمية ، فالأجسام تزداد صلابة ، وقوة على التدمير ، كلما ازدادت سرعتها ، ولقد أجرى العلماء تجربة مؤكّدة فى هذا الشأن ، استخدموا فيها كتلة من الشمع ، تم إطلاقها فى مدفع ، نحو لوح من الصلب ، سمكه بوصة واحدة ، فنجحت كتلة الشمع فى اختراقه ، نظرًا لتزايد صلابتها ، مع شدة سرعتها .



فأمام أعينهم مباشرة ، ومن السيارة المحترقة ، خرج السائق فى هدوء ، والنيران تشتعل فى جسده ..

كله ، ووقف يتطلَّع إليهم .. بعينين تتألقان ببريق أحمر مخيف ..

ثم تحرَّك نحوهم ..

وبكل رعب الدنيا ، انتزع الجميع أسلحتهم ، وصوَّبوها إلى كتلة النيران المتحرِّكة ، وهتف ضابط مراقبة الطريق :

ـ توقَّف .. توقَّف وإلا .. وإلا ..

لم يستطع إتمام عبارته ، وعيناه تحدقان فى ذلك البريق الأحمر المخيف ، الذى نجح فى اختراق اللهب ، ليبث فى عروقهم رعب الدنيا كله ..

وبلا وعى ، أو اتفاق مسبق ، أطلق الجميع نيران أسلحتهم فى آن واحد ، نحو ذلك الشىء ، الذى يتجه إليهم ..

وانهمرت خيوط الليزر والرصاصات على السائق المشتعل كالمطر ..

إلاَّ أن كل هذا لم يوقفه ..

لقد واصل سيره نحوهم ، وهم يتراجعون أمامه ، حتى هتف ضابط الدورية :

ـ الساقين .. صوبوا على الساقين ..

وكأنما كان الجميع ينتظرون هذا الأمر ، فانخفضت فوهات أسلحتهم كلها نحو ساقى السائق المشتعل ..

وانطلقت خيوط الأشعة والرصاصات بلا هوادة هذه المرة ..

وكانت نظرية ضابط الدورية سليمة تمامًا ..

لقد أصيب السائق بعنف ، فتهاوى ذلك الشىء المشتعل على ركبتيه ، ورفع يده التى تفحمت بفعل النيران إلى وجهه ، و ...

وفجأة ، خبا البريق الأحمر من عينيه دفعة واحدة ..

وهوى على وجهه فى عنف ..

ولثوان ، وعلى الرغم من سقوطه ، واصل الجميع إطلاق نيرانهم نحوه ، قبل أن يهتف ضابط المراقبة :

ـ كفى .. كفى .

وتوقف الجميع فى آن واحد ، وإن لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، وكلهم يحدقون فى تلك الجثة المحترقة ، التى استقرت مشتعلة فى منتصف الطريق ، وهى تحمل لغزًا لا حدود له ..

لغز تلك الليلة ..

ليلة المفاجآت ..

والرعب ..

★ ★ ★

« أخيرًا » ..

هتفت (نشوى) بالعبارة ، وهى تنحنى ؛ لتلتقط جسمًا مستديرًا ، من خلف إحدى قطع الحطام ، داخل بقايا معمل الدكتور (وائل) ، فسألتها أمها فى اهتمام :

ـ هل عثرت على شىء ؟!

لوّحت (نشوى) بالجسم المستدير ، مجيبة فى حماس :

ـ خزانة اسطوانات مدمجة ، مزوّدة برتاج أليكرونى ، وجهاز أمنى خاص ، مهمته محو كل ما تحويه الأسطوانات ، عند أية محاولة لفتح الخزانة بالقوة ، أو عند استخدام رقم سرى غير صحيح لثلاث مرات متتالية .. إنها تحفة أنيقة ، صغيرة الحجم ، باهظة الثمن ، إلى حد لا يعقل معه أن يبتاعها المرء ، أو يسعى لاستخدامها ، إلا لو كانت المعلومات المسجّلة على الأسطوانات المدمجة داخلها ، مهمة وخطيرة ، ولا بد من الحفاظ عليها بأى ثمن .

سألها (رمزى) فى اهتمام :

ـ كم أسطوانة يمكن أن تحويها هذه الخزانة فى رأيك ؟!

لوّحت بالخزانة الصغيرة مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ ست أسطوانات كحد أقصى ، ويمكن أن تبلغ سعة الأسطوانة الواحدة منها ثلاثين جيجابيت من المعلومات .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

ـ يا إلهى ! هذه السعة تكفى لتخزين المعلومات الأساسية عن كل آدمى ، فى العالم بأكمله(★).

أجابتها (نشوى) فى سرعة :

ـ أو لتخزين مشروع متكامل ، بكل معلوماته ونماذجه ثلاثية الأبعاد .

هزّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

ـ لا يمكن لأى مشروع ، أن يبلغ هذا الحجم .

هتفت فى حماس :

ـ إنك لم تشاهد مشروعات تطوير سطح (المريخ) .

ابتسمت (سلوى) لحماس ابنتها ، ثم لم تلبث ابتسامتها أن تلاشت فى سرعة ، وهى تقول :

ـ ولكن ما تتحدثين عنه يعنى أنك تواجهين مشكلة عويصة ، وتحديًا مستحيلاً يا (نشوى) .. رتاج

(★) حقيقة .

إليكترونى بأرقام سريّة شفريّة خاصة ، ستكون معقّدة إلى أقصى حد بالتأكيد ، ونظام أمنى لتدمير المعلومات ، عند أوّل خطأ ، أو ثالث محاولة دخول فاشلة .. لست أدرى فى الواقع سر كل هذا الحماس !

ضحكت (نشوى) ، قائلة :

ـ حماسى أمر طبيعى يا أماه ، فما يبدو لكم مستحيلاً ، ليس كذلك بالتأكيد ، بالنسبة لخبيرة كمبيوتر مثلى .. صحيح أن اختراق خزانة دقيقة كهذه ليس بالأمر السهل ، وسيحتاج حتمًا إلى الكثير من التركيز والذكاء والدقة ، إلاّ أنه فى النهاية ليس مستحيلاً .

واستعادت حماسها ، وهى تلوّح بالخزانة مرة ثالثة ، مستطردة :

ـ ثم إن هذا يمثل تحديًا ، يكفى لإنعاش كل إرادة ونشاط أىّ شخص يعشق عمله .

سألها (رمزى) فى هدوء ، وإن لم تخل عيناه من نظرة إعجاب :

ـ إذن فأنت واثقة من قدرتك على التعامل مع الأمر .

هزّت كتفيها ، مجيبة فى ثقة :

- دون أدنى شك .

قالتها ، ووضعت الخزانة الصغيرة فى حقيبتها ، مستطردة :

- وأنا واثقة من أننا سنجد حل اللغز ، وكل التفاصيل المطلوبة ، داخل تلك الخزانة الصغيرة .

تنهدت (سلوى) ، مغمغمة :

- أتعشَّم هذا ، فالأمر يثير قلقى وحيرتى بشدة .

وصمتت لحظة ، قبل أن تتلفَّت حولها متمتمة :

- وخوفى .

وافقها (رمزى) بإيماءة من أرسه ، وهو يقول :

- لست وحدك من تشعر بهذا يا (سلوى) ، فالجميع هنا يشاركونك القلق والحيرة والخوف .

سألته (نشوى) :

- الخوف من ماذا ؟! إننا حتى لا نعلم ما الذى حدث هنا .

أجابها فى حسم :

- وهذا هو السبب الرئيسى للخوف يا (نشوى) .

وأشار بسبَّابته ، مستطردًا :

- المجهول .

رددت (سلوى) فى خفوت :

- المجهول ؟! أتعنى خوفهم من الغموض المحيط بالحادث .

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- بل المجهول يا (سلوى) .. المجهول بشكل مطلق .. كل خوف فى هذا العالم هو خوف من المجهول .. لهذا يخشى الناس الظلام ، وأعماق البحر ، والمنازل القديمة المهجورة ، بل وحتى المستقبل .. خوفهم فى كل هذه الأحوال يتعلَّق بالمجهول .. بالشىء الغامض الذى يجهلون ماهيته .. بالأبواب المغلقة ، التى لا يعلمون ما الذى ينتظرهم خلفها .. بالنتائج الغامضة لما يفعلونه ولما يقدمون عليه .. هذا هو منبع الخوف الحقيقى ، القادر على هزيمة كل القلوب والعقول .

تنهَّدت (سلوى) ، قائلة :

- أنت على حق .. هذا هو السبب الرئيسى لخوفى ، كلما بدأنا مهمة جديدة .. إننى أجهل ما الذى سنواجهه ، وأية مخاطر سنتعرَّض لها .. ربما لو عرفت ..

لم تستطع إكمال عبارتها ، فتمتم مبتسمًا :

- ربما لو عرفت لازددت خوفًا .

حاولت أن تناقش هذا المنطق ، إلا أنها لم تلبث أن استسلمت له ، فهزّت كتفيها ، قائلة فى خفوت :

- ربما .. الحكمة تقول : لو علمتم الغيب لا خترتم الواقع .

لوّحت (نشوى) بيدها ، قائلة :

- الواقع أننى أتساءل كثيرًا ، لماذا لم تظهر تلك الحوادث الغامضة ، إلا بعد أن أصبحت لدينا تكنولوجيا متطوّرة ومخابرات علمية نشطة ؟!

ضحك ، قائلاً :

- هذا قول مضحك يا (نشوى) ، أشبه بمن تساءل يومًا : ماذا كان الناس يتنفسون ، قبل كشف الأكسجين ؟ الحوادث الغامضة موجودة منذ أبد الدهر ، ولكن نظرة الناس لها هى التى اختلفت ، فقديمًا كانت عقولهم تعجز عن فهم ما يحدث من حولهم ، فيعزون الأمر إلى الجن والعفاريت والأشباح والأرواح ، ثم تطوّرت عقولهم ، ومفاهيمهم ، وأصبحوا أكثر قدرة على استيعاب الأمور ، فزادت معارفهم ، و ...

قاطعته (سلوى) فى توتر :

- ومخاوفهم .

وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- هذا صحيح ، فكلما تزايدت معارف الإنسان ، تزايدت معها مخاوفه أيضًا ، وكما يمكنه اختراع ما ييسّر به سبل الحياة ، فهو يخلق فى الوقت ذاته مخاطر جديدة ، تنشأ معها مخاوف جديدة .. الخوف من الفيروسات ، والارتفاعات ، والأماكن المغلقة .. بل والخوف من الحروب النوويّة والكيماويّة ، والبيولوجيّة .. والخوف حتى من الغزو الفضائى .. هكذا الدنيا .. كلما أخذنا منها ، تضاعف حتمًا ما ندفعه من ثمن .

ابتسمت (نشوى) فى شىء من التوتر ، مغمغمة :

- نظرية الأخذ والعطاء .. إننى أفهمها بالتأكيد .

ثم استدارت تواصل بحثها ، مستطردة :

- ولكننى أخشاها أيضًا .

أجابها (رمزى) :

- هذا أمر طبيعى ، فعندما نتأكد من أننا سندفع ثمنًا ما حتمًا ، كلما حصلنا من الدنيا على مزية جديدة ، يجعلنا نبدأ فى الشعور بالخوف ، فور حصولنا على

هذه المزية .. حتى عندما يشعر البعض منا بالمرح والسعادة لبعض الوقت ، فهم يتصوَّرون أنها مجرَّد مقدِّمة لفترة أحزان قادمة .

ضحكت (سلوى) ، قائلة :

ـ آه .. العبارة الشهيرة ، التى تعقب كل نوبة ضحك .. « اللهم اجعله خيرًا » .

هتفت (نشوى) ضاحكة :

ـ بالضبط .

ثم استطردت فى لهفة مباغتة :

ـ رباه !! يبدو أننى قد عثرت على شىء جديد ..

التفت إليها زوجها وأمها ، وسأل الأوَّل فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

انحنت تلتقط ذلك الشىء ، وهى تقول :

ـ لست أدرى .. إنه أشبه بالعصا الكهربية ، ولكنه نصف شفاف ، و ...

كانت أصابعها تلامس تلك العصا نصف الشفافة بالفعل ، وهى تنطق عبارتها ، فبترت قولها دفعة واحدة ، وانتفض جسدها كله فى قوة ، قبل أن ترتدّ إلى الخلف فى عنف ، وكأنما أصابتها صاعقة كهربية ..

أما ما حدث فى الثانية التالية ، فقد كان مذهلاً ... مذهلاً بحق ..

★ ★ ★

لثوان ، تجمَّدت الحياة داخل مشرحة المستشفى ، و(نور) و(أكرم) يحدقان فى وجه الدكتور (حجازى) ، وقد أطل من عيونهما دهشة واستنكار الدنيا كلها ، قبل أن يهتف الأوَّل :

ـ أىَّ قول هذا يا دكتور (حجازى) ؟! أنت تعلم مثلى أن الحادث قد وقع فى الوقت المدوَّن بالفعل .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ إذن فهذا يعنى أن تلك الجثة ، التى أثارت الرعب هنا ، كان صاحبها يسير ويقتل ، وهو ميت بالفعل .

قال (أكرم) فى عصبيَّة :

ـ دكتور (حجازى) .. هل تسخر منا ، أم أن هذه أسخف مزحة سمعتها ، فى حياتى كلها ؟!

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ لا هذا ولا ذاك يا (أكرم) .. إنه أمر طبى علمى بحت .

ثم أشار إلى الجثة ، قائلاً :

- انظرا هنا .. إنه أثر اصطدام السيارة .. مجرَّد جزء مضغوط ، وأوعية دموية مهشمة ، ولكن لا كدمات ، أو تجمعات دموية ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه فى حيرة ، فى حين أجاب (نور) فى توتر :

- يعنى أن الدم لم يكن يسرى فى العروق ، عندما حدث الاصطدام .

هتف الدكتور (حجازى) :

- بالضبط . على الرغم من أنه ، طبقًا لأقوال الجانى ، ولموضع الإصابة ، فقد كان صاحب هذه الجثة يعبر الطريق بالفعل ، عندما اصطدمت به السيارة .

حدَّق (أكرم) فيهما لحظة ، فى دهشة كاملة ، قبل أن يهزَّ رأسه مرة أخرى فى عنف ، ويقول فى حدة :

- أى حديث هذا ؟!

لم يعلِّق أحدهما على عبارته ، والدكتور (حجازى) يتابع :

- أما بالنسبة للرصاصات ، التى اخترقت الجثة ، فكل ثقوبها ومداخلها باردة ، بلا نزيف أو كدمات

مصاحبة ، وهذا يعنى أيضًا أن تلك الرصاصات قد اخترقت الجسد بعد موته .

قال (نور) ، فى توتر بالغ :

- ولكن هذه الجثة كانت تسير داخل المستشفى بالفعل .. والكل رآها ، والحرَّاس أطلقوا عليها النار .

أشار الدكتور (حجازى) بسبَّابته ، قائلاً فى حسم :

- ابحث أنت عن التفسير يا (نور) .. مهمتى هى إقرار الحقائق العلمية فحسب .

هتف (أكرم) فى حنق :

- ومهمتى أنا هى محاولة فهم ما تقولانه .. أريد جملة واحدة عاقلة ، يمكننى فهمها واستيعابها ؟! كيف تتصوَّران أنه من الممكن أن يموت شخص ما ، أىَّ شخص ، ثم تعود إليه الحياة ، ليسير عبر الطريق ، وتصدمه سيارة مسرعة ، فيموت مرة أخرى ، ثم تعود إليه الحياة للمرة الثانية ، ويقتل رجلاً ، ويثير الرعب ، كل الرعب ، فى المستشفى ، قبل أن يقطع أحدهم رأسه ، ويقتله للمرة الثالثة ؟! هل تتصوَّران أنه توجد قوة ، فى الكون كله ، يمكنها أن تعيد الروح لأىَّ كائن ، حتى الناموسة الصغيرة بعد موتها ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة وحزم :

ـ مطلقًا ! كلانا ، (نور) وأنا ، نؤمن تمامًا بأن الروح من أمر اللّه (سبحانه وتعالى) وحده ، يبثها فى خلقه ، ويستردّها وقتما يشاء ، ثم يبعثها بنفحة من إرادته (عزّ وجلّ) .. إننا حتى لم نشر إلى العكس ، ولا نجرؤ على هذا .. تحليلنا العلمى نفسه لم يخالف هذه الحقيقة قط .. كل ما قلناه هو أن هذه الجثة قد تحرّكت بعد موتها بوسيلة ما .. وهى وسيلة ميكانيكية على الأرجح ، تمامًا مثلما يمكنك تحريك عروس من عرائس الماريونيت ، بخيوط معلّقة فى أطرافها .. هذا لا يعنى قط أنك قد منحتها الحياة .

قال فى توتر :

ـ وأيّة قوة تلك ، التى يمكنها تحريك جثة ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى يا ولدى .. من الناحية العلمية ، لا توجد قوة ، فى الكون كله ، سوى اللّه (سبحانه وتعالى) ، يمكنها تحريك جثة شخص بعد موته ، أما من الناحية العمليّة والواقعيّة ، فقد تحرّكت هذه الجثة ، وقتلت عامل المشرحة ، فى وجود شاهدين ، ثم أثارت الرعب فى المستشفى كله ، بشهادة فريق من الشهود ، اتفقوا

كلهم على وجود ذلك البريق الأحمر فى العينين ، والذى لم أجد له أى تفسير علمى ، حتى هذه اللحظة .

قال (نور) فى توتر :

ـ ولكن هذا مستحيل ! هناك حتمًا تفسير علمى .. تحليل منطقى للموقف .. لمحة واحدة ، يمكن اعتبارها نقطة انطلاق ، لبلوغ الأمر كله .

انفرجت شفتا الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم لم يلبث أن أطبقهما ، فسأله (نور) :

ـ ما الذى أردت قوله يا سيّدى ؟!

تردّد الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ إنها ليست نقطة خاصة ، يمكن اعتبارها طرف خيط ، ولكن ...

تردّد مرة أخرى ، وكأنه يخشى الاستطراد ، فقال (نور) يستحثه :

ـ ما هى يا دكتور (حجازى) ؟!

أشار الدكتور (حجازى) إلى الجثة ، قائلاً :

ـ عندما بدأت فى فحص الجثة ، كان أوّل ما لاحظته هو أن صاحب الجثة كان مصابًا بالتهاب شديد فى الأعصاب ، ولكن ما أدهشنى هو أن هذا الالتهاب كان

يتركّز على الأعصاب الحركيّة وحدها ، دون الأعصاب الحسيّة ، كما أنه كانت هناك تلك البقعة المحترقة .

بدا الاهتمام على وجه (نور) ، وردّد (أكرم) فى قلق :

- بقعة محترقة ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، ثم التقط رأس الجثة المقطوع ، وأداره فى حركة سريعة ، وهو يشير إلى بقعة داكنة ، فى أعلى منتصف مؤخرة العنق ، مجيبًا :

- نعم .. هذه البقعة .

تطلّ (نور) و(أكرم) فى اهتمام إلى تلك البقعة ، التى بدت مستديرة تمامًا ، فى حجم عملة معدنية متوسّطة ، ذات لون بنى داكن ، وأطراف سوداء محترقة ..

وفى اهتمام قلق ، غمغم (نور) :

- وما الذى يمكن أن يصنع علامة كهذه ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- لست أدرى .. إنها تبدو كما لو أن أحدهم قد غرس عملة معدنية ملتهبة فى مؤخرة عنق هذا المسكين ، وهو على قيد الحياة .

سأله (أكرم) :

- أليس من المحتمل أن تكون هذه الإصابة هى سبب الوفاة ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

- لست أدرى بعد .. سأفحص الرأس ، فور انتهائى من فحص الجسد ، وربما منحنا هذا معلومات جديدة .

زفر (نور) فى توتر ، مغمغمًا :

- أتعشم هذا .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى برز ضابط النقطة ، عند مدخل المشرحة ، قائلاً :

- معذرة أيها السادة .

التفت إليه ثلاثتهم ، فألقى نظرة متوترة على ذلك الرأس ، فى قبضة الدكتور (حجازى) ، قبل أن يقول ، فى شىء من العصبية :

- جثة أخرى وصلت ، ويريدون فحصها أيضًا فى سرعة .

سأله (نور) :

- أية جثة تلك ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ إنه مهندس ، فى شبكة الكهرباء الرئيسية .

تبادل (نـور) و(أكرم) نظرة سريعة ، قبل أن يقول الأول :

ـ آه .. المهندس (ناجى) .

وأشـار الدكتور (حجـازى) بيـده ، إلـى منضـدة تشريح قريبة ، وقال :

ـ ضعاه هنا .

نقل الرجال جثة المهندس (ناجى) إلى المنضدة ، ثم أسرعوا يغادرون المكان فى سرعة ، وكأنهم يخشون أن يطاردهم شبحها ، فقال الدكتور (حجازى) :

ـ من الواضح أن أعصاب الجميع مشدودة للغاية .

قال (نور) :

ـ لو أنك رأيت ما رأوه لـ ....

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة وهو يتمتم :

ـ ترُى هل .... ؟!

لـم يتمّ عبارتـه ، وهو يندفـع فجـأة ، نحـو جثـة المهندس (ناجى) ، فسأله (أكرم) فى توتر :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟!

ولم يجب (نور) ..

فبكل اهتمامه وتركيزه ، رفع رأس جثة المهندس (ناجى) ، و ...

واتسعت عيون الثلاثة عن آخرها ...

ففـى أعلـى منتصف مؤخـرة العنق ، كـانت هنـاك بقعة بنيـة داكنـة ، فـى حجم قطعـة عملـة متوسّطة ، محاطة بإطار أسود ..

ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ، مـع هـذه المفاجـأة العنيفة ..

وكالقنبلـة ، تفجّـرت فـى عقـل (نـور) عبـارة الدكتور (وائل) الأخيرة ..

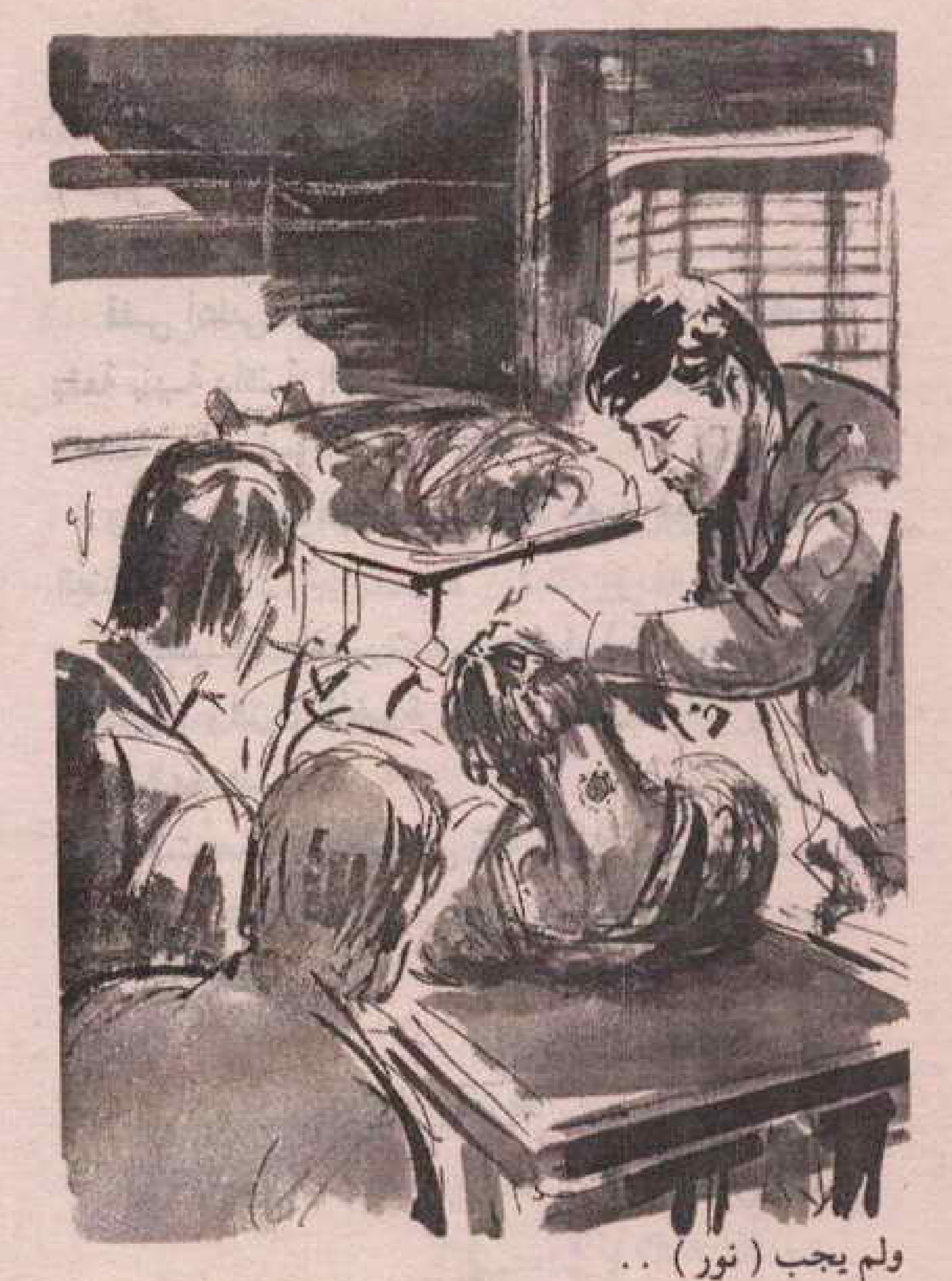
« إنهم هنا .. »

وكانت صدمة جديدة فى تلك الليلة ..

ليلة الرعب ..

والمفاجآت .

★ ★ ★



ولم يجب (نور) ..
فبكل اهتمامه وتركيزه ، رفع رأس جثة المهندس ناجى ..

٥ - الموتى ..

لا أحد يدرى ما الذى حدث بالضبط ، ولا ما الذى أشعلته (نشوى) ، بملامستها تلك العصا نصف الشفافة ..

ولكن فجأة ، دوَّن فى المكان فرقعة مكتومة ..

ثم تألَّق الجدار المواجه كله ، و ....

وبرز القوس فجأة ..

قوس اللهب ..

واتسعت عيون الثلاثة فى ذهول ..

وخوف ..

فعبر تلك الفجوة ، التى انفتحت فى الجدار ..

أو فى الفراغ ..

عبرها ، هبَّت فى وجوههم رياح باردة كالثلج ..

وأمام عيونهم ، كانت هناك عاصفة جليدية عاتية ، تملأ مكانًا ما ..

مكانًا رهيبًا ، مخيفًا ، يمتَّد إلى ما لا نهاية ، تحت

سماء بنفسجيّة داكنة ، يتألق فى نهايتها جسم أحمر مستدير ..

وكان هناك شىء ما يتحرّك ، وسط تلك الثلوج ، التى تميل إلى الزرقة ..

بل أشياء ..

أشياء عديدة ، تتحرّك فى كل مكان ، وإن صعُب تمييزها فى الوهلة الأولى ..

هذا لأن تلك الأشياء لم تكن كيانات مادية واضحة ..

بل كانت ظلالاً ..

مجرّد ظلال ..

ظلال آدمية ..

أو شبه آدمية ..

ظلال طويلة ..

كبيرة ..

رهيبة ..

ولثانية أو ثانيتين ، حدّق الثلاثة فى هذا المشهد المخيف ، قبل أن تتراجع (سلوى) فى ارتياع ، هاتفة :

ـ ما هذا ؟!

ولم تحصل على جواب ..

بل لم يبد حتى أن (رمزى) أو (نشوى) قد سمعا ما قالته ..

كلاهما كان يحدّق فى تلك الظلال ، التى توقفت كلها دفعة واحدة ، وكأنما فقدت قدرتها على الحركة ، وتحوّل المشهد كله إلى صورة ثابتة كبيرة ..

لولا العاصفة الجليدية ..

وعلى الرغم من أن تلك الظلال نصف الشفافة كانت مصمتة تمامًا ، فقد خُيِّل لـ (نشوى) أنها جميعها تحدّق فيها مباشرة ، بعيون وهمية كاللهب ..

عيون جعلت قلبها يخفق فى عنف ، وهى تتمتم :

ـ لا .. لا ..

التفت إليها (رمزى) فى توتر ، وشاهد أطرافها المتجمّدة ، وعينيها المتسعتين عن آخرهما ، واللتين تحملان انطباعًا عجيبًا مخيفًا ، فتمتم :

ـ (نشوى) .

انفرجت شفتاها ، وكأنها ستجيب نداءه ، إلا أنها لم تلبث أن ردّدت ، فى آلية عجيبة للغاية :

ـ ألف وستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو .. ياء ..

حدّق (رمزى) و(سلوى) فى وجهها بدهشة ، فاقت ذهولهما وخوفهما من ذلك القوس الملتهب ، على قيد مترين منهما ، وهتفت (سلوى) :

- ماذا تقولين يا (نشوى) ؟!

كررّت (نشوى) الأرقام مرة أخرى ، بنفس الآلية العجيبة ، وهى تنحنى فى بطء ، لتلتقط تلك العصا نصف الشفافة ..

وفى نفس اللحظة ، عادت تلك الظلال تتحرّك .. نحو القوس مباشرة ..

وارتجف جسد (سلوى) بين ضلوعها ، وهى بين تحدّق فى ابنتها ، التى التقطت تلك العصا ، وجذبتها من بين الحطام ، ثم اعتدلت واقفة ، وهى تتطلّع إلى القوس ، والظلال المقتربة ، بعينين تحملان شيئًا عجيبًا .. ومخيفًا ..

والتقت عينا (رمزى) بعينى (سلوى) ، التى هتفت :

- رباه ! تلك العصا .

اندفع (رمزى) نحو (نشوى) ، وأمسك تلك العصا ، هاتفًا :

- تخلّصى من ...

قبل أن يتمّ كلمته ، شعر بتيار كهربى عنيف يسرى فى جسده ، ويدفعه إلى الخلف فى قوة ، حتى ارتطم بالجدار ..

ولم يبد على (نشوى) أنها قد شعرت بما حدث .. أو حتى بما حولها ..

ففى هدوء عجيب ، ودون أن تلتفت إلى زوجها ، الذى ألقته الصدمة أرضًا ، رفعت العصا نحو القوس ، وهى تضغط كرة سوداء فى نهايتها ..

وزادت سرعة الظلال ..

واتجهت كلها نحو القوس ، الذى ازداد تألّقًا على نحو عجيب ..

وفى لحظة واحدة ، فهمت (سلوى) مايعنيه هذا ..

إنها تلك الظلال المخيفة ..

لقد سيطرت على ابنتها بوسيلة ما ...

وها هى ذى تدفعها للإبقاء على الفجوة مفتوحة .. لتعبر إلى عالمنا ..

وصرخت (سلوى) :

- لا .. لا يا (نشوى) .. لا .

أطلقت صرختها ، واندفعت نحو ابنتها ..

ولكن فجأة ، أصابتها ضربة عنيفة فى صدرها ..

لم يكن هناك أحد بالقرب منها ، وعلى الرغم من هذا فقد شعرت بالضربة وعنفها ..

وكأن قبضة قوية لطمتها ، فى منتصف صدرها تمامًا ..

ومع قوة اللطمة ، طار جسدها ، وارتطم بجدار آخر ، ليسقط أرضًا فى عنف ..

وفى نفس لحظة سقوطها ، هبَّ (رمزى) واقفًا على قدميه ، وهو يصرخ :

ـ لاتفعلى هذا يا (نشوى) .. لاتسمحى لهم بالعبور .

ثم وثب نحوها بكل قوته ..

وكل إرادته ..

وعلى الرغم من ثقل وزنه ، بالنسبة إليها ، ومن قوة انقضاضته ، استدارت إليه (نشوى) فى سرعة ، ولطمته بيدها فى صدره ..

وكانت الصدمة من القوة ، حتى إنها أعادته إلى الخلف ، ليصطدم بالجدار مرة أخرى ، وكأن سيارة قوية قد ضربته فى عنف ..

ولهث (رمزى) فى شدة ، وهو يرقد أرضًا ، وبدا له من الواضح أن (سلوى) قد فقدت وعيها ..

أما (نشوى) ، فكانت تصوِّب تلك العصا إلى القوس ، والظلال الرهيبة تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

★ ★ ★

انبعث ضوء بنفسجى هادئ ، داخل ذلك المصعد الأسطوانى الشفاف ، وهو يهبط إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، حاملاً الدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية ، إلى حيث مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلميّة المصريّة ..

وما إن توقّف المصعد ، حتى انبعث داخله صوت آلى ، يقول :

ـ الطابق الثالث سالب .. منطقة محظورة ، إلا للفئات العليا .. برجاء إبراز تحقيق الشخصية ، والخضوع لنظام الأمن الإليكترونى .

أبرز الدكتور (ناظم) بطاقته المغنطيسية ، ودسّها فى تجويف خاص بجهاز الأمن الإليكترونى ، ثم

ألصق راحته بلوح زجاجى ، وهو يدنى عينه من عدسة فحص دقيقة ..

وفى آن واحد ، تم فحص هويته المغنطيسية ، بوساطة موجات خاصة ، ومسح بصماته وتوزيع مسامه العرقية ، وانطلق شعاع دقيق يعيد رسم بصمة قزحيته ، اليمنى ، قبل أن يعود ذلك الصوت الآلى للانبعاث ، قائلاً :

ـ الدكتور (ناظم) .. فئة (أ) .. مسموح بالمرور .

استعاد الدكتور (ناظم) هويته ، وتقدَّم نحو باب مستدير ، انفتح فى بطء كعدسة آلة تصوير ، ليظهر من خلفه القائد الأعلى واقفًا ، داخل حجرة واسعة ، خالية من الأثاث تمامًا ، فيما عدا مقعد واحد ، فى منتصفها تمامًا ، أمامه منضدة من المعدن ، استقرّ فوقها جهاز كمبيوتر حديث ، من أفضل الطرز ، التى ابتكرتها العقول البشرية مؤخرًا ..

وما إن دلف الدكتور (ناظم) إلى الحجرة ، حتى التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ فى موعدك تمامًا كالمعتاد .

غمغم الدكتور (ناظم) ، فى توتر ملحوظ :

ـ الأمر لا يحتمل التأخير .

وافقه القائد الأعلى بتنهيدة كبيرة ، وإيماءة رأس ، قبل أن يغمغم :

ـ أنت على حق .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يستطرد :

ـ ما الذى وصل إليه الأمر حتى الآن ؟!

حان دور الدكتور (ناظم) ، ليطلق زفرة ملتهبة ، قائلاً :

ـ ثلاث حالات قتل ، بالإضافة إلى حادث الدكتور (وائل) .

وتنهَّد مرة أخرى ، متابعًا :

ـ من الواضح أن الموقف دقيق ، وبالغ الخطورة للغاية .

تمتم القائد الأعلى :

ـ يا للمصيبة !

وراح يسير داخل الحجرة الواسعة فى صمت ، وكل خلجة من خلجاته تشفّ عن توتر بالغ ، قبل أن يتوقَّف ، ويلتفت إلى الدكتور (ناظم) ، متسائلاً :

ـ هل يمكن أن نسيطر على الأمر ، قبل طلوع الشمس ؟!

حتى الآن ، لم تخرج الأحداث عن دائرة مدينة (السادس من أكتوبر) ، وأعتقد أن الأمور ما زالت محصورة داخلها .

سأله القائد الأعلى :

ـ وماذا عن الضحايا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) ، مشيرًا بأصابعه :

ـ سائق نقل ، ومهندس كهرباء ، ومحاسب .. وثلاثتهم لقوا مصرعهم بالفعل .

سأله فى قلق :

ـ والشهود .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه ، مجيبًا :

ـ عشرات .. وهذه هى المشكلة الرئيسية .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يسأل متوترًا :

ـ هل توصّل (نور) وفريقه إلى شىء ما ؟!

لوّح الدكتور (ناظم) بسبّابته نفيًا ، وقال :

ـ ليس بعد .

ثم استدرك فى حزم :

ـ ولكنه سيتوصّل إلى الحقيقة حتمًا .. إنها مسألة وقت فحسب .

وهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ أنت تعرف (نور) .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مغمغمًا :

ـ بالطبع .

ثمّ عادت ملامحه تشفّ عن التفكير العميق ، على نحو جعل الدكتور (ناظم) يسأله :

ـ أهناك خطة محدودة ؟!

رفع القائد الأعلى عينيه إليه ، قائلاً :

ـ هذا الأمر يمكن أن يثير حالة من الذعر لا مثيل لها ، لو أنه بلغ العامة .

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ ويمكن أن يثير ما هو أكثر ، لو بلغ السلطات الحاكمة .

تضاعف توتر القائد الأعلى ، عندما سمع عبارة الدكتور (ناظم) الأخيرة ، فتنهّد فى عمق ، وعاد يسير فى الحجرة بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يتوقّف أمام أحد جدران الحجرة ، قائلاً :

ـ لقد أخطأنا منذ البداية يا دكتور (ناظم) .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى عصبيّة :

ـ لم يكن من الممكن أن نفعل سوى ما فعلناه يا سيِّدى .. لقد تصرّفنا وفقًا لكل القواعد المتعارف عليها ، فى مثل هذه الظروف ، ولو عاد الزمن إلى الخلف ، لما تصرّفنا بخلاف هذا .

أجابه القائد الأعلى فى توتر :

ـ كنا نعلم أنها مخاطرة كبيرة .

قال الدكتور (ناظم) فى إصرار :

ـ وكنا نعلم أيضًا أنه كشف علمى رهيب ، لا يمكن أن نقف أمامه صامتين ، مهما كانت المخاطر والعقبات .

التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ هل يمكنك إقناع القيادة السياسية بهذا ؟!

ابتسم الدكتور (ناظم) ، ولوَّح بيده ، وهو يقول :

ـ القيادة السياسية لديها دائمًا استعداد للاقتناع ، بشرط ألاّ يتعارض الأمر بشدة مع مصالح الجماهير .

قال القائد الأعلى فى توتر :

ـ لو شئت الدقة ، فالشرط الوحيد ألاّ يبدو الأمر متعارضًا مع مصالح الجماهير ، على نحو علنى واضح .

أشار الدكتور (ناظم) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وهذا يتوقَّف على وسيلة عرض الأمر ، أو تقديمه للجماهير ، أو ...

اكتسب صوته صرامة واضحة ، وهو يضيف :

ـ أو عدم تقديمه .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتطلَّع إليه مليًّا فى صمت ، قبل أن يسأله فى حزم :

ـ ماذا يدور فى ذهنك بالضبط يا دكتور (ناظم) ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ أعتقد أن أوَّل ما ينبغى علينا فعله ، هو ألا نسمح للأمر بالإفلات من أيدينا أكثر من هذا .

سأله القائد الأعلى فى صرامة :

ـ وما الذى تعنيه بهذا ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيديه ، مجيبًا :

ـ العزل .

كررَّ القائد الأعلى فى حذر :

ـ العزل ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) ، ويداه تنافسان لسانه ، فى محاولة توضيح الأمر :

ـ نعم يا سيِّدى .. العزل .. عزل مدينة (السادس من أكتوبر) تمامًا عن (مصر) .. إحاطتها بكل وسائل

الحصار الممكنة ، بحيث لا يدخلها ، أو يخرج منها مخلوق واحد .

ثم ضغط حروف كلماته على نحو مقصود ، وهو يضيف :

ـ أىّ مخلوق .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى فى شدة ، وهو يسأل :

ـ وكيف يمكنك عزل واحتجاز مثل هذه الأشياء ؟!

اتجه الدكتور (ناظم) نحو المنضدة الوحيدة فى الحجرة ، وضغط أحد أزرار الكمبيوتر فوقها ، وهو يجيب :

ـ بنفس الوسيلة .

وإثر ضغطته ، انزاح أحد جدران الحجرة فى بطء ، ليكشف خلفه حاجزًا زجاجيًا سميكًا ، يفصلها عن حجرة أخرى ، بلغ من انخفاض درجات الحرارة داخلها أن التصقت قطع من الثلج بجدرانها وأرضيتها ..

وما إن انكشف ذلك الحاجز الزجاجى ، حتى انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يتطلّع إلى تلك الأشياء ، التى

تحركت نحو الحاجز الزجاجى ، على نحو مخيف ..

إلى الظلال ..

الظلال الرهيبة ..

★ ★ ★

« لا يمكننى أن أفهم هذا .. »

غمغم (أكرم) بالعبارة ، فى توتر بالغ ، وهو يحدّق فى تلك الدائرة البنية الصغيرة ، ذات الأطراف السوداء المحترقة ، فى أعلى مؤخرة عنق المهندس (ناجى) ، فهزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً :

ـ ولا أنا .

التفت إليه (أكرم) فى دهشة ، فتابع فى حزم :

ـ هذه الدائرة تبدو أشبه باحتراق فى الأنسجة ، حدث من التصاق جسم معدنى ملتهب بالجلد .

لوّح (أكرم) بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ آه .. جسم معدنى مستدير .. هذا يذكرنى بمواجهة سابقة ، رواها لى (نور) يومًا .

والتفت إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ مواجهة شيطانية(★) .

(★) راجع قصة (ابن الشيطان) ... المغامرة رقم (٧٢) .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :
ـ كلا يا (أكرم) .. هذا الأمر يختلف تمامًا .
لوّح (أكرم) بذراعه ، قائلاً فى عصبيّة :
ـ وفيم يختلف ؟! ألسنا نواجه أفعالاً شيطانيّة ؟!
أجابه الدكتور (حجازى) :
ـ الأفعال الشيطانيّة أمور لا تفسير لها يا ولدى .
سأله فى حدة :
ـ ألديك تفسير لهذه الأمور إذن ؟!
بدا (نور) صارمًا ، وهو يقول :
ـ هناك تفسير ما حتمًا يا (أكرم) .. أعلم أن هذه الأمور تبدو عجيبة ، مثيرة للدهشة والفزع ، ولكن هناك تفسير لها فى مكان ما .
أشار (أكرم) بسبّابته ، قائلاً :
ـ فى فيلا الدكتور (وائل) .
صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب فى صرامة :
ـ ربمـا .
قال (أكرم) فى توتر :
ـ كل شىء بدأ هناك .
أجابه (نور) :

ـ لو أن الأمور كلها تتعلّق بما حدث هناك ، فسيكشف (رمزى) و (سلوى) و (نشوى) أمرًا ما حتمًا .
غمغم (أكرم) محنقًا :
ـ ربما كشفوه بالفعل .
لم يدر (نـور) لمـاذا سرت فـى جسده قشعريرة باردة ، عندما نطق (أكرم) هذه العبارة ، ولكنه حافظ على صرامته ، وهو يقول مرة أخرى :
ـ ربمـا .
ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، مستطردًا :
ـ أعتقـد أن أفضـل مـا نفعلـه الآن هو أن نواصـل عملية التشريح ، فربما قادنا هذا إلى حقيقـة جديدة ، تنير الطريق أمامنا .
أشار إليه الدكتور (حجازى) ، قائلاً :
ـ أنت على حق .
ثم عاد يلتقط مشرطه ، وضغط زر جهاز التسجيل الصغير ، الذى ينقل إليه ملاحظاته فى أثناء التشريح ، وهو يستطرد :
ـ سنتتبّع الآن مسار أعصاب الحركـة ، بحثًا عن امتداد آثار ذلك الالتهاب الحاد ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع صوت دقات على باب المشرحة ، فهتف (نور) :
- من بالباب ؟!
سمع صوت شخص يتنحنح ، قبل أن يبرز الضابط داخل المكان ، قائلاً :
- هناك جثة ثالثة يا سيادة المقدّم .
فجّرت عبارته دهشة عارمة فى ثلاثتهم ، وهتف (أكرم) مستنكرًا :
- جثة ثالثة ؟!
ثم هزّ رأسه فى قوة ، مستطردًا :
- أية ليلة هذه ؟!
أما الدكتور (حجازى) ، فقد سأل الضابط فى اهتمام :
- أهو حادث عارض ، أم ...
قاطعه الضابط متوترًا :
- (القاهرة) طلبت تسليمها لسيادتك على الفور .
انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين قال الدكتور (حجازى) :
- (القاهرة) ؟! هذا يعنى أنه ضيف ثالث .

ثم أشار إلى الضابط ، مستطردًا :
- فليكن .. دعهم يدخلوها إلى هنا .
تنهَّد الضابط ، قائلاً :
- لا يوجد أحد يا سيِّدى .. لقد أحضرتها بنفسى .. الجميع رفضوا حتى مجرَّد الاقتراب منها ، وهدَّدوا بالاستقالة ، لو تم إجبارهم على هذا .
غمغم (نور) فى توتر :
- إلى هذا الحد ؟!
هزَّ الضابط رأسه ، وزفر مرة أخرى ، قبل أن يقول :
- فكرة عودة جثث الموتى إلى الحياة لا تفارق أذهانهم ، ثم إن هذه الجثة ...
لم يستطع إكمال عبارته ، فتمتم الدكتور (حجازى) :
- فليكن .. أدخلها .
دفع الضابط المحفَّة أمامه ، حتى وضعها إلى جوار مائدة الفحص الثانية ، التى ترقد عليها جثة المهندس (ناجى) ، ثم تراجع فى خطوة واسعة ، فسأله (نور) :
- أهى مشوَّهة إلى هذا الحد ؟!
غمغم الضابط :

ـ بل محترقة تمامًا .

هتف (أكرم) ، وهو يتطلَّع إلى الجثة المغطاة :

ـ آه .. لديهم حق إذن ، ففكرة عودة جثة مثلها إلى الحياة تثير الفزع حتمًا ، فى قلب أشجع الرجال .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ الجثث لا تعود إلى الحياة ، إلا بأمر الخالق (عزّ وجلّ) يا (أكرم) .. كل ما يحدث هو أنها تعود للحركة .

قال الضابط فى حيرة عصبيّة ، وهو يتراجع عائدًا إلى باب المشرحة :

ـ لستُ أجد فارقًا .

أجاب (نور) :

ـ بل هو فارق جوهرى للغاية يا رجل ، فالتكنولوجيا قد تنجح فى تحريك الجوامد ، أو الموتى ، ولكنها أبدًا لن تعيد لهم الحياة ، مهما بلغت قوتها أو حداثتها ؛ فالروح هبة الخالق (عزّ وجَل) ، هو وحده (سبحانه وتعالى) يمنحها ويستردّها وقتما وأينما وكيفما يشاء .

تمتم الضابط :

ـ أنت على حق يا سيادة المقدّم .. أنت على حق .

ثم تراجع أكثر إلى الباب ، وأدّى التحية العسكرية ، مستطردًا :

ـ على أية حال ، سأكون فى مكتبى ، رهن إشارتكم ، فى أى وقت تشاءون .

قال الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ـ أشكرك .

غادر الضابط المكان فى سرعة ، وكأنه يخشى التواجد فيه أكثر من هذا ، فغمغم (أكرم) فى عصبيّة :

ـ أراهن على أنهم يتصوّرون أننا مجانين ؛ لأننا نتواجد مع ثلاث جثث ، فى هذا المكان المخيف .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال وهو يتجه إلى الجثة المحترقة ، ويكشف الغطاء عن وجهها :

ـ بالنسبة لى ، هذا أمر معتاد للغاية .

لم يبد عليه التأثُّر ، وهو يتطلع إلى الوجه المحترق بشدة ، فى حين تراجع (أكرم) فى امتعاض ، هاتفًا :

ـ يا للبشاعة !

أشار إليه الدكتور (حجازى) ، وهو يعيد الغطاء إلى وجه الجثة ، قائلاً :

- لا داعى للنظر إليها ، ما دمت لم تعتد هذا .

قال (أكرم) فى عصبيَة ، وهو يقاوم حالة الغثيان ، التى بدت أشبه بقبضة باردة تغوص فى معدته ، حتى تبلغ عمقها ، ثم تجذبها فى قسوة ، محاولة انتزاعها من جسده بلا رحمة :

- الأمر الأكثر بشاعة فى رأيى ، هو أن يعتاد المرء هذا .

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، مغمغمًا :

- ما باليد حيلة .

ثم عاد إلى الجثة مقطوعة الرأس ، وجذب مشرطه الحاد فوق صدرها ، قائلاً :

- فلنعد إلى فحص الأعصاب ، و ...

توقَّف فجأة ، عندما شاهد نظرة الذهول المذعورة ، فى عينى (أكرم) ، وهو يحدِّق فى نهاية المكان ، وقال بابتسامة باهتة :

- (أكرم) .. لو أنك لا تحتمل متابعة عملية التشريح ، فالأفضل لك أن ...

بتر عبارته مرة أخرى فى دهشة ، عندما انتزع (نور) مسدسه بحركة سريعة ، وهو يتراجع إلى

الخلف ، ويصوِّبه نحو نفس البقعة ، التى يحدِّق فيها (أكرم) ..

وبحركة آلية ، استدار الدكتور (حجازى) إلى حيث ينظر الاثنان ..

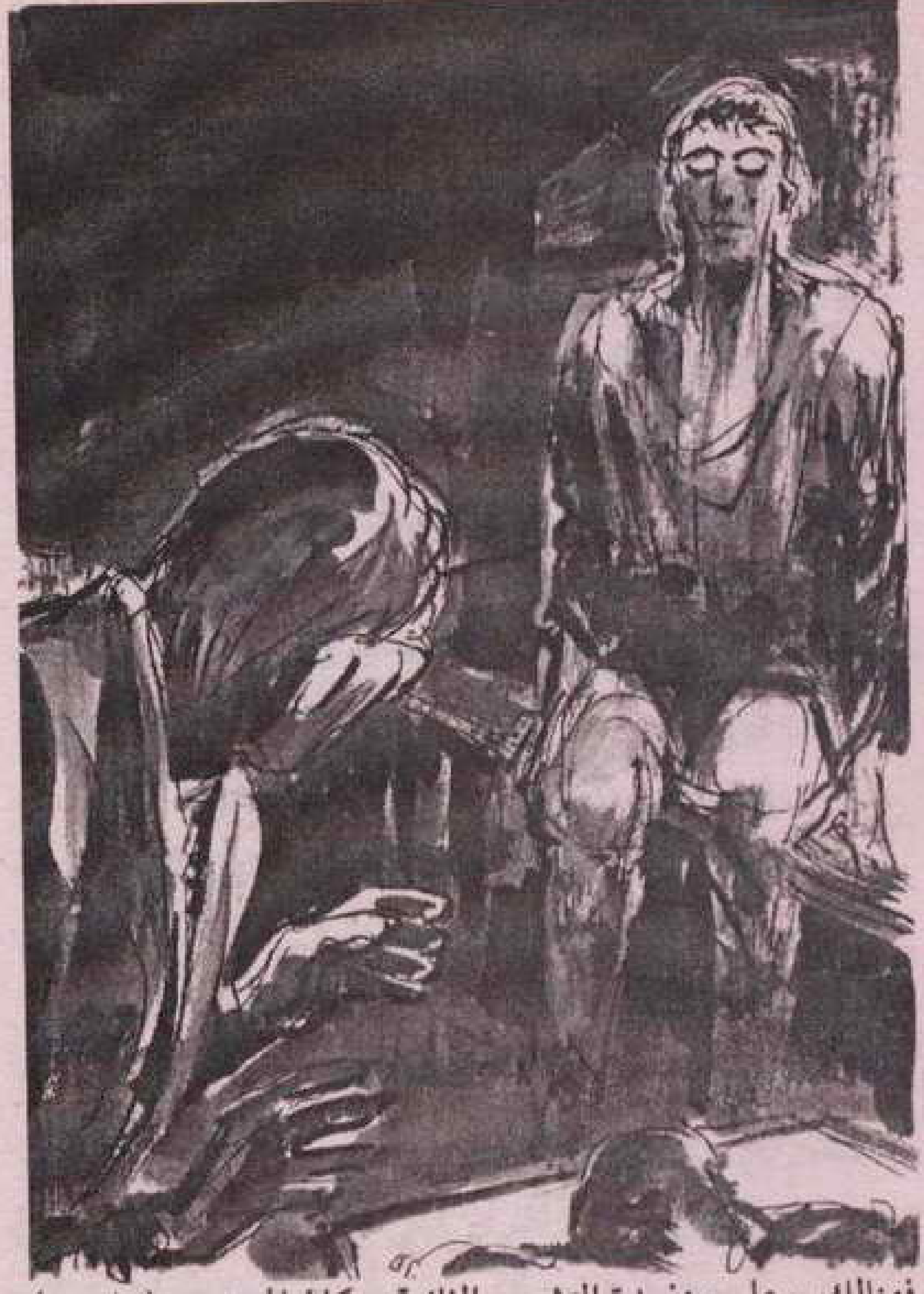
وتجمَّد جسده كله دفعة واحدة ، وهو يحدِّق فى البقعة نفسها ، فى ذهول تام ، جعل المشرط يسقط من يده ، ويرتطم بالأرضية الرخامية ، لينبعث منه رنين متصل مخيف ، فى مثل هذه الظروف ..

فهناك ، على منضدة التشريح الثانية ، كان المهندس (ناجى) جالسًا فى هدوء ، وعيناه تتطلعان إليهم بنظرة مخيفة ..

نظرة تتألَّق ببريق أحمر ..

دموى .

★ ★ ★



فهنالك ، على منضدة التشريح الثانية ، كان المهندس (ناجى) جالسًا فى هدوء ، وعيناه تتطلعان إليهم بنظرة مخيفة ..

٦ ـ الخوف ..

تحركت (مشيرة) فى عصبية شديدة ، خارج فيلا الدكتور (وائل) ، وهتفت فى حنق ، فى وجه الضابط المسئول عن الأمن والنظام فى المنطقة :

ـ هذا غير مقبول ... غير مقبول وغير منطقى ، وغير عادل أيضًا .. المفترض أن الدستور المصرى يحمى الحريات ، ويمنح كل مواطن حقّ الحصول على المعلومات ، ما دام هذا بوسائل شريفة مشروعة(*) ، ولكنكم هنا تحيطون الفيلا بحصار شديد ، وتمنعوننا من دخولها ، أو جمع المعلومات اللازمة ، لتقديم الحقائق كلها للجماهير ، وهذا ليس من حقكم .

(*) الدستور : هو مجموعة القواعد الأساسية ، التى تحدّد نظم الحكم فى كل دولة ، وتبين السلطات العامة فيها ، واختصاص كل منها ، وعلاقتها ببعضها، وتقرّر ما للأفراد من حريات عامة ، وحقوق قبل الدولة ، وهى تختلف عن القوانين العامة ، من حيث وضعها وتعديلها ، وأوّل دستور عرفته (مصر) فى العصر الحديث ، هو دستور عام (١٩٢٣) م .

أجابها الضابط فى هدوء شديد :

ـ القـانون أيضًا يحتم عدم الاقتراب من مسرح الحادث ، قبل أن يجمع المسئولون كل الأدلة والقرائن .

قالت فى عناد :

ـ هذا يقتصر على رجال الأمن الجنائى وحدهم :

ـ هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل كل من يحمل صفة رجل أمن ، على كل المستويات .

صاحت محنقة :

ـ هذا نوع من التميُّز .

أجاب فى سرعة :

ـ رجال الإعلام أيضًا يحصلون على امتيازات خاصة ، تساعدهم على القيام بعملهم ، كتخفيضات السفر ، وتصاريح دخول الأماكن السياحية المختلفة ، وحرية إخفاء المصدر ، و ...

قاطعته فى عصبية :

ـ هذا لا يبلغ نصف امتيازاتكم ، كالسفر المجانى ، ودخول كل الأندية والـ ....

قاطعها هو هذه المرة ، وقد تلاشى هدوؤه دفعة واحدة ، وحلَّ محلّه مزيج من العصبية والغضب :

ـ سيِّدة (مشيرة) .. لسنا هنا لمفاضلة امتيازاتنا ، ومقارنة ، بعضها ببعض .. هذا المكان مسرح لحادث غامض ، والأوامر تقتضى عدم الاقتراب منه ، بأية حال من الأحوال ، وكل مناقشات الدنيا لن يمكنها كسر هذه الأوامر .. هل فهمت ؟!

قالت فى عناد طفولى :

ـ كلاً .. لم أفهم بعد .

أمسك مقبض مسدسه ، وهو يقول فى صرامة ، وعلى نحو يوحى بأن أعصابه توشك أن تفلت من سجنها ، الذى حبسها فيه طويلاً :

ـ هناك وسائل أخرى لشرح الأمر ، وهى قانونية أيضًا .

احتقن وجهها ، وهى تقول :

ـ إننى أكره التهديد .

أجاب فى حدة :

ـ وأنا أيضًا ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات .

ازداد وجهها احتقانًا ، وانفرجت شفتاها بعض

الوقت ، دون أن تقول شيئًا ، وكأنما انحبست الكلمات فى حلقها ، ثم لم تلبث أن هتفت محنقة :

ـ ألا تشعر بما يحدث حولك يا رجل .. الكل مصاب بالخوف والذعر ، ويبحث عن تفسير لما حدث هنا ، منذ بضع ساعات ، ومهمتنا نحن رجال الإعلام ، أن نبذل قصارى جهدنا ؛ لتقديم الحقيقة للناس .. الحقيقة التى يمكنها وحدها أن تزيل خوفهم وذعرهم ، من ذلك المجهول ، الذى لا يدركون ماهيته .

أجاب فى صرامة :

ـ أو تزيد من خوفهم وذعرهم ، ، إذا ما تبيَّن لهم أنها أخطر مما كانوا يتصوَّرون .

هتفت :

ـ عجبًا ! نفس المنطق الذى تحدَّث به (نـور) .. أتحفظون جميعًا الحديث نفسه يا رجال الأمن ؟!

زفر فى توتر ، وهو يشيح بوجهه ، معلنًا رفضه الاستمرار فى المناقشة ، ولكنها واصلت فى عناد ، وهى تشير إلى الفيلا :

ـ ألم تسمع تلك الفرقعة المكتومة ، التى حدثت بالداخل منذ قليل ؟! ألم تسأل نفسك : ما الذى يمكن

أن يعنيه هذا ؟! أليس من المحتمل أن يكون هناك ما يحتاج إلى تدخُلك ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ الأوامر تحتم عدم التدخُّل ، إلا بناءً على طلب أعضاء الفريق العلمى بالداخل .

سألته فى دهشة :

ـ أيًا كانت الظروف ؟!

أجاب فى حزم :

ـ أيًّا كانت الظروف .

هزَّت رأسها مستنكرة ، وهى تقول :

ـ أمر عجيب .. وماذا لو ...

قاطعها صوت مرتبك من خلفها ، يقول :

ـ سيِّدة (مشيرة) .. هل يمكننى التحدُّث إليك قليلاً ؟!

احنقها أن يقاطعها أحد على هذا النحو ، فالتفتت إلى صاحبه ، هاتفة :

ـ هل تعتقد أن الظروف مناسبة لهذا ؟!

لم تكد عبارتها تندفع من بين شفتيها ، حتى اتسعت عيناها فى دهشة ، وارتفع حاجباها إلى قرب منابت شعرها ..

فذلك الذى قاطعها ، لم يكن سوى صبى فى الخامسة عشرة من عمره على الأكثر ، يقف مرتبكًا على نحو يدعو للشفقة ، ولقد تراجع فى حدة ، مع أسلوبها الهجومى هذا ، وقال مذعورًا :

- آه .. معذرة .. لقد تصورت أن ... أن ...

لم يستطع إتمام عبارته ، من شدة اضطرابه وارتباكه ، فأسرعت ترسم على شفتيها ابتسامة ، فى محاولة لتهدئة روعه ، وهى تقول :

- معذرة .. يبدو أننى كنت متوترة أكثر مما ينبغى .

تراجع فى ارتباك أكثر ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

- لا بأس .. لا بأس .. يمكننى العودة مرة أخرى .

وضعت يدها على كتفه ، وهى تواصل الابتسام فى وجهه ، قائلة :

- لا داعى لهذا .. لدى ما يكفى من الوقت للاستماع إليك .

ابتسم الضابط فى ارتياح ، عندما ابتعدا لعدة أمتار ، وكأنما راق له أن انتهت مناقشتهما على هذا النحو ، فى حين سألت (مشيرة) الصبى فى اهتمام :

- ماذا لديك ؟!

قال فى تردُّد :

- إنكم تريدون معرفة ما حدث بالضبط .. أليس كذلك ؟!

أجابته فى حذر :

- بالتأكيد .. ألديك ما يمكن أن تضيفه ، لما رأيناه وسمعناه بالفعل ؟!

قال فى حزم ، لا يتناسب مع سنوات عمره القليلة :

- إنكم لم تروا شيئًا .

- تطلَّعت إليه فى تساؤل ، فتابع فى سرعة ، وهو يشير إلى صدره فى زهو :

- أما أنا ، فقد رأيت كل شىء .

ثم استدرك فى حسم :

- وسجّلته أيضًا .

وثب قلبها بين ضلوعها فى لهفة ، انتقلت واضحة إلى صوتها ، وهى تسأله :

- سجّلته ؟! ما الذى تعنيه بأنك قد سجّلته ؟!

سألها فى صرامة :

- المهم أولًا .. كم ستدفعون ثمنًا لهذه المعلومات ؟!

تراجعت فى دهشة ؛ لطبيعة المساومة ، ثم لم

تلبث أن استعادت لهفتها ، وهى تسأله :

ـ أخبرنى أولاً .. ما نوع التسجيل بالضبط ؟!

ثم أضافت فى حزم :

ـ الثمن سيتوقَّف على إجابة هذا السؤال .

أومأ برأسه متفهمًا ، فى رصانة مدهشة ، قبل أن يجيب :

ـ لقد كنت أسجِّل مشهد الغروب ، بآلة تصوير الفيديو ، التى أهداها لى والدى ، فى عيد ميلادى الأخير ، عندما حدث الانفجار .

كادت تصرخ من اللهفة ، وهى تسأله :

ـ وهل سجَّلته ؟!

أجاب فى زهو :

ـ بالتأكيد .

صاحت بكل انفعالها :

ـ رائع .

ارتسمت على شفتى الصبى ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب .. لقد واصلت التسجيل أيضًا ، وبمنتهى الدقة ، منذ ظهور ذلك القوس الملتهب ، الذى أحاط بالفيلا ، وحتى تلاشى تمامًا ، و ...

لم تنتظر حتى ينتهى من روايته ، وإنما أمسكت كتفيه بكل لهفة الدنيا ، وهى تقول :

ـ أريد هذا الفيلم .. أريده بأى ثمن .

قال الصبى فى صرامة :

ـ ربما بدا لك الثمن باهظًا .

هتفت :

ـ هذا لا يهم .

ابتسم فى ارتياح ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ...

وقبل أن يتمَّ عبارته ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، فى الجزء الخلفى من الفيلا ، أطاح بالجزء المتبقِّى من الجدار الخلفى ، وانبعث معه لسان محدود من اللهب ، قبل أن يخبو فى لحظة واحدة ، مع تردُّد دوى الانفجار ، الذى سمعه كل سكان الحىّ ..

ولوهلة ، تصوَّر الجميع أنهم سيشاهدون ذلك القوس الملتهب مرة أخرى ..

ولكن هذا لم يحدث ..

كل ما انبعث بعد الانفجار ، هو سحابة من الدخان الداكن ، ارتفعت من موضع سقوط بقايا الجدار الخلفى ..

ومع انبعاثها ، اندفع الجميع نحو الفيلا ..
وبكل ذعر الدنيا ، هتفت (مشيرة) :
- يا إلهى ! (رمزى) .. (سلوى) .. (نشوى) ..
وقبل أن يبلغوا الفيلا ، برز على عتبتها (رمزى) ، فى حالة مزرية ، وهو يحمل (نشوى) الفاقدة الوعى ، ويهتف :
- (سلوى) بالداخل .. انقذوا (سلوى) .
أسرع البعض يحاول التقاط (نشوى) من بين ذراعيه ، ولكنه هتف ، وهو يتشبَّث بها فى إصرار :
- انقذوا (سلوى) .. اتصلوا بالإسعاف بسرعة .. أرجوكم .
كان الضابط قد اتصل بإسعاف المستشفى بالفعل ، فى حين اندفع بعض سكان الحىّ داخل الفيلا ، وسرعان ما عادوا وهم يحملون (سلوى) ، التى تنزف الدماء فى غزارة ، من جرح بجبهتها ..
وفى ارتياع ، هتفت (مشيرة) :
- رباه ! ماذا حدث بالداخل يا (رمزى) ؟!
ضمّ (رمزى) (نشوى) إليه فى قوة ، وكأنما يحاول حمايتها من عدو مجهول ، وهو يقول :

- لم يكن هناك سبيل آخر .. تلك العصا كانت تعاونهم على العبور إلينا .. كان لا بد أن أطلق عليها النار .
ثم رفع عينيه إليها ، مستطردًا فى صوت متهالك ، مفعم بالأسى والمرارة :
- لم أكن أتصوَّر أن تنفجر بكل هذا العنف !
وعاد يخفض عينيه إلى (نشوى) ، الفاقدة الوعى بين ذراعيه ، مكملاً :
- لم أكن أتصوَّر هذا قط !
قالت (مشيرة) فى حيرة :
- (رمزى) .. ماذا أصابك ؟! لست أفهم شيئًا من حديثك .
رفع عينيه إليها مرة أخرى ، وبدت عليه الحيرة ، وهو يتمتم :
- لا تفهمين شيئًا ؟!
كان من الواضح أنه يقاوم غيبوبة قوية ، تهاجم عقله فى شراسة ، فأمسكت (مشيرة) كتفيه ، وهزّته فى رفق ، قائلة :
- لا تستسلم يا (رمزى) .. قاوم .. قاوم وأخبرنى : ما الذى حدث بالداخل ؟!

أسبل جفنيه ، وفتحهما فى صعوبة ، وهو ينخفض بحمله ، ليجلس على إحدى درجات السلم الأمامى الصغير للفيلا ، فى نفس الوقت الذى سأل فيه المصوِّر فى لهفة :

ـ سيِّدة (مشيرة) .. هل أقوم بتصوير ما يحدث ؟!

صاحت به فى حدة :

ـ بالطبع أيها الغبى .. لماذا نحن هنا إذن ؟!

راح الرجل يلتقط الأحداث فى حماس ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها دوى بوق سيارة تقترب ، فهتفت (مشيرة) :

حمدًا لله .. سيارة الإسعاف وصلت بسرعة مثالية .. كنت أظن أن المستشفى أبعد من هذا ، وأن ..

بترت عبارتها فى دهشة ، وهى تحدِّق فى أضواء العربات ، التى تقترب فى سرعة ، وغمغمت فى حيرة :

ـ هل أرسلوا عدة سيارات إسعاف ، أم ؟!

قبل أن تكمل عبارتها ، دخلت السيارات القادمة دائرة الضوء ..

واتضحت معالمها ..

وشهقت (مشيرة) فى دهشة ..

فبين السيارات الأربع ، التى وصلت إلى المكان ، لم تكن هناك سيارة إسعاف واحدة ..

كانت هناك سيارة (جيب) عسكرية ، وسيارتان محملتان بجنود صاعقة ، وثبوا منهما قبل توقفهما ، وانتشروا فى المكان فى سرعة مدهشة ..

أما السيارة الأخيرة ، فكانت سيارة كبيرة ، أشبه بالحافلة ، ولكنها بلا أية نوافذ ، باستثناء كابينة القيادة ، وفى أعلاها كان هناك جسم أشبه بالرادار ..

وقبل أن يستوعب أحد الحاضرين الموقف ، كان الجنود قد سيطروا على الحى كله ، فى نفس الوقت الذى تقدَّم فيه ضابطهم من ضابط الشرطة ، وقال فى صرامة :

ـ مهمتك هنا انتهت رسميًّا أيها الضابط .. الجيش سيتولَّى القيادة ، منذ هذه اللحظة .

بدا التوتر على ضابط الشرطة ، وهو يقول :

ـ أحتاج إلى أمر رسمى بهذا .

ناوله ضابط الجيش بضعة أوراق ، وهو يقول بنفس الصرامة :

ـ ستجد كل شىء هنا .

راح ضابط الشرطة يراجع الأوراق فى اهتمام ، فى حين قالت (مشيرة) فى توتر غاضب .

ـ وما معنى كل هذا ؟! ليس من حق الجيش أن ...

قاطعها فى صرامة :

ـ سيدة (مشيرة) .. أين الأفلام ، التى تمّ تصويرها هنا ؟!

أدهشها السؤال ، وأثار آلاف المخاوف فى أعماقها ، فقالت فى حدة :

ـ وما شأنكم بها ؟! القانون ينصّ على ..

قبل أن تكمل عبارتها ، وبنفاد صبر لا مثيل له ، استدار يشير إلى رجاله فى حركة صارمة حادة عنيفة ، فاندفع ثلاثة منهم نحو سيارة أبناء الفيديو ، فى حين انتزع رابع آلة التصوير من المصوّر ، الذى هتف فى اعتراض :

ـ ليس هذا من حقك .

ولكن الجندى ألقى آلة التصوير بكل قوته بعيدًا ، بعد أن انتزع أسطوانة التسجيل المدمجة من داخلها(*)،

(*) أحد طرز آلات تصوير الفيديو ، التى تم طرحها مؤخرًا ، تعتمد على تسجيل الصور مباشرة على أسطوانة مدمجة ، بنظام الضغط المباشر (MPEG) ، ولقد أنتجتها شركة (SONY) .

ثم أطلق نحوها مدفعه الليزرى ، لينسفها على نحو أثار موجة من الذعر والفزع فى المكان ، ضاعفها ضابط الجيش ، وهو يقول بصوت صارم مرتفع ، عبر مكبّر صوتى صغير دقيق :

ـ أنا العقيد (باسل بهجت) ، من القوات الخاصة بالجيش .. المدينة كلها تحت سيطرتنا الكاملة ، منذ هذه اللحظة ، وحتى إشعار آخر .. كل الاتصالات تم قطعها .. مداخل ومخارج المدينة مغلقة .. حظر التجوال يبدأ من الآن ، وحتى الثامنة من صباح الغد ، وكل محاولة لمخالفة التعليمات ستتم مواجهتها بمنتهى الحزم والصرامة .

انطلقت شهقات وصرخات البعض ، والكل يعدو عائدًا إلى منزله ، فى حين قالت (مشيرة) فى غضب :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟! بأى حقّ تحدث كل هذه التجاوزات ؟!

أجابها العقيد (باسل) فى صرامة ، وجنوده يناولونه الأسطوانات التسجيلية المدمجة ، التى عثروا عليها فى سيارة (أبناء الفيديو) :

ـ الأسئلة غير مسموح بها ، وحظر التجوال يسرى

عليك أيضًا ، والأفضل أن تبحثى عن أى مكان ، يمكنك قضاء ليلتك فيه .

هتفت فى سخط :

ـ ليلتى ؟! وهل تعتقد إننى سأبقى هنا حتى الصباح ؟! لقد صار المكان بغيضًا ، حتى إننى ورجالى سننصرف مباشرة ، وسنتقدَّم بشكوى عاجلة ، مع مشرق الشمس ، لوزير الدفاع مباشرة ، للتحقيق فى هذه المهزلة .

ابتسم العقيد (باسل) فى سخرية صارمة ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيِّدة (مشيرة) ، ولكننا هنا بأمر من الوزير مباشرة ، وننفذ الخطة التى وضعها بنفسه ، أما بالنسبة لعودتك إلى (القاهرة) ، فلست أعتقد أن هذا متاح فى الوقت الحالى .

هتفت :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟! إننى مدير ورئيس تحرير جريدة (أنباء الفيديو) ، ومن المستحيل أن أبقى هنا ، و ..

انعقد حاجباه فى صرامة شديدة ، وهو يقاطعها ، قائلاً :

ـ لن يغادر أحد المدينة ، حتى تأتى الأوامر بهذا .

ثم التفت إلى ضابط الشرطة ، مستطردًا وبنفس الصرامة :

ـ وهذا ينطبق عليكم أيضًا .

لوَّح الضابط بالأوراق فى يده ، قائلاً ، فى ضيق :

ـ لقد علمت .

هتفت (مشيرة) :

ـ وماذا عن المصابين ؟! لا بد أن يتم نقلهم إلى المستشفى على الفور .

أجاب فى حزم :

ـ سنتولى هذا الأمر بأنفسنا ؛ فنحن فى طريقنا إلى المقدَّم (نور) فى المستشفى .

وصمت لحظة ، ثم استطرد بابتسامة كبيرة :

ـ فأنا فى شوق لمقابلته ... فى غاية الشوق .

ولم ترق لها ابتسامته ...

لم ترق لها أبدًا ..

★ ★ ★

لا أحد من الرجال الثلاثة أمكنه أن يجزم بالوقت الذى مضى ، وهم يقفون جامدين كالتماثيل ، فى مواجهة

جثة المهندس (ناجى) ، التى تحدّق فيهم بعينين حمراوين متألقتين ..

ولكن الجثة هى التى حسمت الأمر فى النهاية ..

فطوال فترة الصمت ، كانت تتطلّع إلى الثلاثة ، وكأنها تدرس قوتهم ، أو تسجّل كل صفاتهم الجسدية أوّلاً ..

ثم تحرّكت فجأة ...

وبحركة واحدة ، هبطت واقفة على قدميها ..

ومع هبوطها ، انتزع الثلاثة أنفسهم من ذهولهم ، وهتف (نور) :

ـ احترسا .. إنها ستهاجمنا على الأرجح .

أمسك (أكرم) مسدسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا تقف بهذا الشكل العجيب ؟! إن النصف العلوى يبدو وكأنه منفصل عن النصف السفلى تقريبًا .

أجابه الدكتور (حجازى) ، فى عصبيّة واضحة :

ـ هذا صحيح .. الجثة بها كسر فى منتصف العمود الفقرى بالفعل ، حتى إنه ليدهشنى أن تتمكّن من السير .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا تجعله يدهشك يا دكتور (حجازى) ؛ فهذا يثبت أن مصدر الحركة ميكانيكى بحت ، وليس عصبيًا كما تصوّرنا ..

قال الدكتور (حجازى) :

ـ بالضبط .. الأعصاب هنا انقطعت حتمًا ، مع تحطُّم العمود الفقرى ، وعلى الرغم من هذا ..

قاطعه (أكرم) فى حدة :

ـ هل ستناقشان الحقائق العلمية الآن ؟!

قالها ، وأطلق النار ، نحو رأس الجثة مباشرة ..

وفى مشهد بشع ، رأى الجميع رصاصته تخترق رأس الجثة ، التى مال نصفها العلوى إلى الخلف فى حدة ، دون أن يتحرّك نصفها السفلى من موضعه ، وكأنها بالفعل عبارة عن نصفين منفصلين تمامًا ..

وفى بطء مخيف ، اعتدلت الجثة مرة أخرى ، وتضاعف بريق عينيها الأحمر المخيف ..

ثم تحرّكت نحوهم ..

وفى هذه المرة ، لم يطلق (أكرم) وحده النار .. (نور) أيضًا اشترك معه ، فى إطلاق مسدسه

الليزرىَ ، فى حين تراجع الدكتور (حجازى) إلى الخلف ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

كان مزيجًا من تألق خيوط الليزر ، ودوىَ الرصاصات ، على نحو أثار فزع المستشفى كله مرة أخرى ، إلى الحد الذى اندفع بعض المرضى فيه يغادرونها ، وقد فضَّلوا التخلِّى عن العلاج ، على البقاء فى ظروف كهذه ..

وعلى الرغم من خوفه وتوتّره كالآخرين ، لبَّى ضابط نقطة الشرطة نداء واجبه ، واندفع يقتحم المشرحة ، لتتسع عيناه أمام المشد الرهيب ، وهو يتمتم :

ـ يارب العالمين !

ثم لم يلبث أن انتزع نفسه من ذهوله ، واشترك مع (نور) و(أكرم) فى إطلاق النار ، فى غزارة غير مسبوقة ..

وتوقَّفت الجثة فى منتصف الطريق ، بعد أن تحوَّلت إلى ما يشبه المصفاة ، مع كثرة ما اخترقها من رصاصات وخيوط الليزر ..

والعجيب أنه مع توقفها ، توقَّف (نور) و(أكرم) والضابط عن إطلاق النار فى آن واحد ، دون اتفاق أو إشارة مسبقة ..

وفى بطء ، وبنفس العينين الحمراوين المتألقتين ، أدارت الجثة وجهها بينهم ..

ثم راح ذلك البريق الأحمر يخبو ..

ويخبو ..

ويخبو ..

وفجأة ، تلاشى البريق ..

وتهاوت الجثة أرضًا ..

عند قدمى (نور) و(أكرم) ..

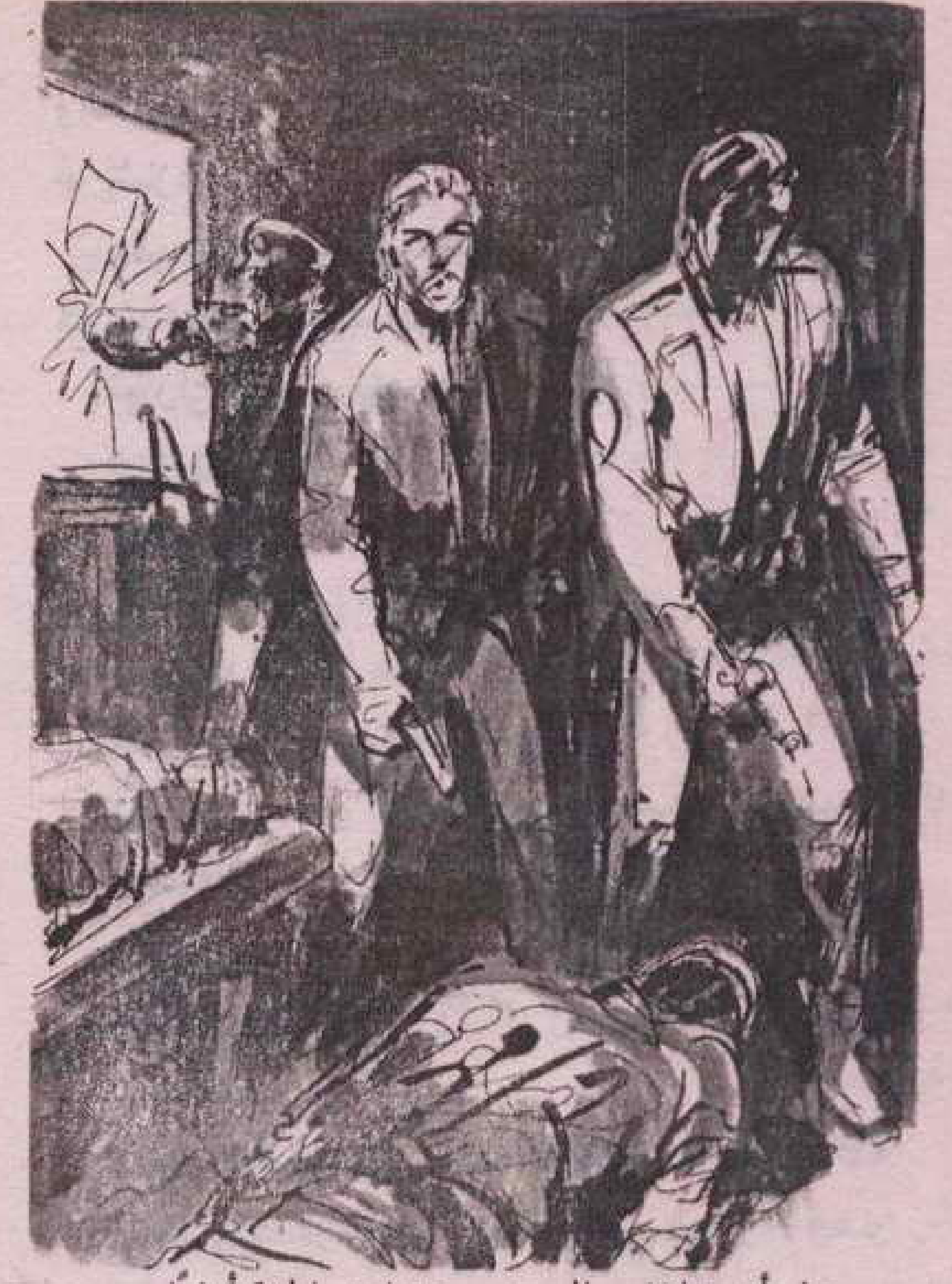
ولثوان ، حدَّق الاثنان فيها بدهشة ، انتزعهما منها الضابط ، وهو يهتف غير مصدِّق :

ـ هل انتهى الأمر ؟!

هتف (نور) :

ـ لا أحد يدرى .

استدار الضابط إلى بلطة الطوارئ ، الموضوعة داخل صندوقها الزجاجى ، المعلَّق على الجدار ، وهو يقول فى حزم :



وفجأة ، تلاشى البريق .. وتهاوت الجثة أرضًا .. عند قدمى (نور) وأكرم) ..

ـ هناك وسيلة واحدة لحسمه .

ثم قفز إلى البلطة ، وحطَّم واجهة صندوقها الزجاجى بمرفقه ، قبل أن يختطفها ، ويندفع نحو جثة المهندس ..

وبكل توتره ، هتف الدكتور (حجازى) :

ـ لا .. لا تفعلها .

توقَّف الضابط بغتة ، وقال فى عصبية :

ولكنها الوسيلة الوحيدة ، لإيقاف كل هذا الرعب.. لقد اختبرت هذا بنفسى .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ ولكننا نحتاج حتمًا لفحص جثة كاملة .. لا بد أن نعرف الصلة بين الأعصاب المخية وأعصاب الحركة .

تردَّد الضابط لحظة ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ وماذا لو عادت إلى الحياة .

التقط الدكتور (حجازى) نفسًا عميقًا ، محاولاً السيطرة على توتره ، قبل أن يقول فى صوت خشن مبحوح :

ـ سأقبل المخاطرة .

قال (أكرم) فى انفعال :

- وماذا عن الأخرى ؟!

غمغم الدكتور (حجازى) :

- الأخرى ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يلوّح بمسدسه فى عصبية :

- نعم .. تلك المحترقة .. لن يمكننى أن أتخيّل عودتها إلى الحركة .. إننى أفضل نسف المكان كله الآن .

تطلّع الجميع بالفعل إلى تلك الجثة المغطاة ، وارتسم فى أذهانهم ذلك المشهد البشع المحتمل ، لو أنها استعادت بالفعل قدرتها على الحركة ، وتمتم الدكتور (حجازى) فى شحوب :

- نعم .. ماذا لو حدث هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- لن يكون بإمكانها أن تتحرّك على الأقل .

سأله فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟!

التفت (نور) إلى الضابط ، قائلاً :

- ألديك هنا أغلالٌ فولاذية للطوارئ ؟!

أجابه الضابط فى سرعة :

- نعم .. لدى أربعة .

قال (نور) :

- عظيم .. أحضرها كلها .. سنقيّد يد وقدم كل جثة إلى منضدة الفحص الرخامية الثقيلة ، و ...

قاطعه فجأة صوت صارم جاف ، يقول :

- دعك من خطتك هذه أيها المقدّم ، فلن يمكنك تنفيذها .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ، وتركّزت أبصارهم على الرجل القوى الصدر ، المفتول العضلات ، الطويل القامة ، الذى تابع بنفس الصرامة الجافة :

- العقيد (باسل بهجت) .. القوات الخاصة ... سأتولى المسئولية ، منذ هذه اللحظة .

قال (نور) :

- المقدّم (نور) من ...

قاطعه فى صرامة :

- أعرفك جيدًا .

ثم انعقد حاجباه الغزيران ، وهو يتابع فى شىء من الشراسة :

ـ العالم كله يعرفك ، منذ انتهاء الاحتلال(★).

تجاوز (نـور) المعنـى الخفـى ، وراء أسلوب الحديث هذا ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ عظيم .. ما دمت تعرفنى ، فلتعلم إذن أننى أرأس فريقًا علميًا خاصًا ، تعتمد مهمته على فحص هذه الجثث الثلاث ، و ...

قاطعه العقيد (باسل) فى صرامة :

ـ هذه الجثث الثلاث سيتم حرقها الآن ، بوساطة قاذفات اللهب .

اتسعت عيون (نور) و (أكرم) والضابط فى دهشة ، فى حين صاح الدكتور (حجازى) ، فى غضب مستنكر :

ـ حرقها ؟! أى قول هذا يا رجل ؟! إننى هنا خصيصًا لتشريح هذه الجثث ، ثم إن المقدّم (نور) هو المسئول عن العملية كلها ، وليس ...

قاطعه الضابط أيضًا بنفس الصرامة ، وإن شابتها نبرة شامتة :

(★) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

ـ المقدّم (نور) لم يعد مسئولاً عن شىء .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

اسمع أيها الضابط .. صحيح أنك تفوقنى رتبة ، ولكن المخابرات العلمية لها استقلالية خاصة ، وأنت تعلم هذا جيدًا .

أخرج العقيد (باسل) من جيبه ورقة رسمية ، تحمل توقيع القائد الأعلى ، وخاتم المخابرات العلمية ، وهو يقول ، بذلك المزيج المستفز ، من الصرامة والشماتة :

ـ لقد تم إعفاؤك رسميًا .

ثم أضاف ، وهو يناولها لـ (نور) :

ـ ثم إنه لن يكون لديك وقت لكل هذا ، فزوجتك وابنتك وزميلك الطبيب النفسى مصابون ، وتم نقلهم إلى هنا .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر بالغ ، وهتف :

ـ يا إلهى ! (سلوى) و(نشوى) و(رمزى) !! ماذا أصابهم ؟!

أجابه العقيد فى صرامة :

ـ ثلاثتهم أحياء .. إنه انفجار محدود فى الفيلا .

هتف (أكرم) :

- اللعنة .

أشار العقيد (باسل) إلى جنوده ، فاندفعوا يحملون الجثث الثلاث إلى الخارج ، فى حين اندفع (نور) إلى الباب ، قائلاً فى غضب :

- فليكن أيها الضابط .. سأطمئن أولاً على الجميع ، ثم سيكون بيننا حديث آخر ، وعندما أعود إلى (القاهرة) ، فسوف ..

قاطعه العقيد (باسل) كعادته ، وهو يقول فى صرامة :

- لن تكون بيننا أيّة أحاديث أيها المقدّم .. ولن يكون بإمكانك العودة إلى (القاهرة) ، حتى ينتهى الأمر كله ، فالمدينة تحت الحصار الكامل ، وحظر التجوال بدأ بالفعل .

تبادل الجميع نظرة متوترة للغاية ، ثم التقط (نور) جهاز الاتصال اللاسلكى الدقيق من جيبه ، قائلاً فى حدّة :

- الأمر على هذا النحو يحتاج إلى تفسير منطقى .

أشار إليه العقيد (باسل) ، قائلاً :

- لا تحاول أيها المقدّم ، فكل الاتصالات مع (القاهرة) مقطوعة .

قال (أكرم) ساخرًا :

- حتى الاتصالات اللاسلكية ؟!

التفت إليه العقيد (باسل) ، قائلاً فى صرامة :

- نعم أيها المتحذلق .. حتى الاتصالات اللاسلكية مقطوعة ؛ لأن المدينة كلها محاطة بقبة من الطاقة الكهرومغنطيسية غير المرئية .

مرة أخرى تبادل الجميع نظرات دهشة متوترة للغاية ، قبل أن يهتف (نور) :

- ماذا يحدث بالضبط أيها العقيد ؟! أى أمر يختفى خلف كل هذا ؟!

أجابه العقيد فى شراسة :

- ليس هذا من شأنك الآن أيها المقدّم .

قال (نور) فى غضب :

- اسمع أيها العقيد .. ربما تم إعفائى من المهمة رسميًا ، ولكننى ما زلت أحد رجال المخابرات العلمية ،

والقانون مازال يمنحنى الحق فى معرفة أية معلومات ، تتعلّق بالظواهر غير المفهومة .

قال العقيد فى سخرية :

ـ هكذا ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ نعم .. هكذا أيها العقيد .. هذا ما يحتمه القانون والواقع .

رفع العقيد (باسل) حاجبيه ، فى سخرية أكثر ، وهو يقول :

ـ القانون والواقع .

ثم استطرد فى صرامة مباغتة :

ـ من الواضح إذن أنك تحتاج إلى مواجهة مباشرة صريحة ، مع القانون والواقع أيها المقدّم .

قالها ، والتقط من جيبه ورقة أخرى مختومة ، قدمها إلى (نور) ، وهو يتابع ، وقد استعاد صوته ولهجته ذلك المزيج العجيب ، من الصرامة والشماتة :

ـ ففى حالتنا هذه ، جاء القانون والواقع بأوامر مباشرة ، صارمة ، لا تقبل المناقشة أو المراجعة .. أوامر تقول : إنه محظور تمامًا الإدلاء بأية معلومات .

ثم انتقلت ابتسامته الساخرة الشامتة إلى عينيه ، وهو يضيف :

ـ وبالذات لك أنت وفريقك أيها المقدّم ..

وفى هذه المرة ، بلغت دهشة الجميع ذروتها ..

فلقد كانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة ..

مفاجأة تستحق أن تحتلّ مكانها ، فى تلك الليلة الرهيبة ..

ليلة المفاجآت .





٧ ـ خلف القانون ..

لم ينجح القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ، فى السيطرة على توتره بسهولة ، وهو يسأل الدكتور (ناظم) :

ـ كيف صار الأمر ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

ـ كل شىء على ما يرام .. العقيد (باسل) وصل إلى المدينة ، ورجاله يحاصرونها تمامًا ، ويغلقون كل مداخلها ومخارجها فى إحكام ، والفريق العلمى ، الذى أرسلناه من الإدارة ، ليحلّ محلّ فريق (نور) ، أطلق القبة الكهرومغنطيسية بالفعل ، وقطع كل الاتصالات عن المدينة ، فيما عدا أجهزة الاتصال الخاصة ، التى تستخدم أسلوب الصوت المحمول على أشعة الليزر ، والتى يحملها (باسل) وطاقم العلماء ، وقادة فرق الحصار وحدهم (*) ،

(*) أجهزة الاتصال الليزرية : أجهزة تعتمد فى نقل الأصوات ، على تحويلها إلى ذبذبة خاصة ، لشعاع من الليزر ، يتمّ استقبالها بوساطة أجهزة عكسية ، تحوّل ذبذبة شعاع الليزر إلى ترددات صوتية مسموعة ، وتبلغ نسبة الأعطال ، فى مثل هذه الأجهزة حدها الأدنى ، بين كل نظم الاتصال الصوتى الأخرى .

وبوساطتها فقط يتم نقل واستقبال المعلومات والأوامر ، بيننا وبينهم .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

ـ وماذا عن (نور) ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، مجيبًا :

ـ سيطيع الأوامر فى النهاية ؛ فهذا جزء من واجبه .

تنهّد القائد الأعلى ، مغمغمًا :

ـ ولكن عقله لن يهدأ أبدًا .

كرّر الدكتور (ناظم) فى حزم :

ـ سيطيع الأوامر .

تابع القائد الأعلى ، وكأنه لم يسمعه :

ـ وسيظلّ يسعى خلف الحل ، مهما كانت الصعوبات والعقبات .

قال الدكتور (ناظم) ، وقد انقلب حزمه توترًا :

ـ ربما يحدث هذا ، ولكننا سنسعى لعزله عن الموقف كله ، و ...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يكمل :

ـ وسيتوصّل إليه .

واستدار إليه فى توتر بالغ ، مضيفًا :

ـ مهما فعلنا .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ المشكلة ليست فى قدرتـه علـى التوصُّل للحل ، فأنـا أتفق معك تمامًا ، فيمـا ذهبت إليـه .. (نـور) سيتوصَّل حتمًا إلى الحل فـى النهاية ، مهمـا وضعنـا أمامه من عقبات .

وتضاعف التوتر فى صوته ، وهو يستطرد :

ـ المشكلة الحقيقية أن ما سيتوصَّل إليه لن يـروق له على الإطلاق .

وافقه القائد الأعلىٍ بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا ما أخشاه حقًا .

تدخَّل وزير الدفاع ، الذى بقى صامتًا طوال الوقت ، وقال فى خشونة :

ـ لا يوجد سوى الحل الذى اقترحته منذ البداية .

ونهض يدسّ كفيه فى جيبى سرواله ، مستطردًا فى صرامة :

ـ أن نتخلَّص منه .

صاح به القائد الأعلى فى غضب مستنكر :

ـ تتخلَّص ممـن ؟! من (نـور) ؟! (نـور الدين محمود) ، أفضل ضابط مخـابرات علمية ، فى العالم أجمع ؟! هل جننت يا رجل ؟!

أشار إليه الوزير ، هاتفًا فى غضب :

ـ بل أنتمـا من أصابكمـا الجنـون .. هـل تعلمـان ما الذى يمكن أن يحدث ، لو توصَّل ذلك العبقرى الفذ إلـى الحقيقـة ؟! هل تدركـان مصيركمـا ومصيرى ، لـو علمت القيـادة السياسـية بمـا فعلنـاه مـن خلـف ظهورهم ؟!

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أى شخص فـى موضعنـا لـم يكن ليفعـل سـوى ما فعلناه .

صاح الوزير :

ـ أنا أعلـم هذا .. الدكتـور (نـاظم) يعلم هذا .. المنطق والعقل يؤمنان به .. حتى أنت تعلمـه ، وتعلم أيضًا أنه من العسير أن تتقبَّله القيـادة السياسية ، أو توافق عليه .

قال القائد الأعلى فى توتر بالغ :

- لو لم نفعل هذا لفعله غيرنا . إنه كشف علمى ، ومن المستحيل أن نفرط فيه بسهولة .

قال الوزير فى حنق :

- حاول أن تقنع الجميع بهذا .

ثم استطرد فى حدة :

- ولكن بعد أن تتخلص من ذلك الضابط .

هتف الدكتور (ناظم) فى حزم :

- لا .. لن يحدث هذا قط .. انزع من رأسك تمامًا فكرة التخلص من (نور) هذه .

انعقد حاجبا الوزير بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى عصبية :

- ماذا تقترحان إذن ؟!

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة سريعة حاسمة ، قبل أن يقول الأول فى صرامة :

- سنخرجه من العملية كلها .

قال الوزير فى حدة :

- وما الجديد فى هذا ؟! لقد أعفيناه منها رسميًّا بالفعل ، وتولَّى (باسل) الأمر بدلاً منه .

أجابه القائد الأعلى :

- فى هذه المرة سنخرجه بحق .. سنعيده وفريقه إلى (القاهرة) .

انعقد حاجبا الوزير مرة أخرى ، وهو يفكِّر فى الأمر بعمق ، ثم لم يلبث أن قال فى بطء :

- فكرة جيِّدة .

قالها ، والتقط جهاز الاتصال الخاص ، وأوصله بجهاز بث الليزر ، وضغط زره ، وهو يقول :

- من صفر واحد إلى ألف وواحد .. هل تسمعنى ؟!

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت العقيد (باسل) ، قائلاً :

- من ألف وواحد إلى صفر واحد .. أسمعك جيِّدًا .

قال الوزير فى سرعة :

- استمع إلى الأوامر الجديدة يا ألف وواحد .. لقد تغيَّرت الأمور بالنسبة للنمر وعائلته .. سيتم إخراجهم جميعًا من القفص .

وصمت وهلة ، ثم أكمل فى حزم وبطء :

- استخدم الخطة (ألف دال) .

لم يكن القائد الأعلى والدكتور (ناظم) يدركان ماهية الخطة (ألف دال) ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقهما

جعلهما يتبادلان نظرة متوترة قلقة ..

وبصوت يحمل لهفة وارتياح الدنيا كلها ، أجاب العقيد (باسل) :

ـ قرار حكيم يا صفر واحد .. حكيم للغاية .

وتضاعف قلق وتوتر القائد الأعلى ..

تضاعف ألف مرة ..

أو عدة آلاف ..

★ ★ ★

إلى مدى البصر ، لم تر (نشوى) أمامها سوى الثلوج ..

ثلوج مائلة للزرقة ، تمتدّ إلى ما لا نهاية ، وتلتقى على مدى البصر بشمس بنفسجية ، تكاد تختفى خلف الجليد المنهمر ، بشمسها الحمراء الكبيرة ..

وتسلّل الخوف مع البرد إلى عظامها ..

وارتجفت ..

ارتجفت كثيرًا وطويلاً ، قبل أن يظهر ذلك الظل ..

ظل بشرى ، أو شبه بشرى ، طويل ، نصف شفاف ، اتجه نحوها فى بطء رصين ، لو صحّ القول ..

فى البداية خافت واضطربت ..

وبحثت عن مهرب ..

عن مفر ..

عن مخرج من ذلك العالم المخيف ..

ولكن شيئًا ما ، فى هذا الظل ، جعل خوفها يتلاشى ..

لم تكن له أىّ ملامح واضحة ، وعلى الرغم من هذا فقد بدا لها كهلاً وقورًا ..

وبدا وكأنه شخص ذو أهمية كبرى ..

سلطان .. ملك .. إمبراطور ..

أو حتى قائد عظيم ..

هذا الشعور جعلها تهدأ بعض الشىء ..

وتنتظر ..

وعلى مسافة مترين منها ، توقّف الظلّ ..

وفى هدوء عجيب ، أشار إلى شىء ملقى على الأرض ، عند قدميها ..

وانخفض بصرها ، لتتطلّع إلى هذا الشىء ..

وارتجف جسدها فى دهشة ..

إنها تلك العصا نصف الشفافة ، ذات المقبض الأسود المستدير ..



وارتجف جسدها فى دهشة ..
إنها تلك العصا نصف الشفافة ، ذات المقبض الأسود ..

وغمغمت (نشوى) :
ـ لقد تحطمت ..
نطقت الكلمات ..
نطقتها حتمًا ..
ولكن العجيب أنها لم تسمعها قط ..
كل ما أحاط بها كان مغلفًا بالصمت ..
الصمت بلا حدود ..
ولكنها كانت تفهم كل شىء ..
تفهم حتى ما لم يقله ذلك الظل ، وهو يشير بيده إلى نقطة قريبة ..
ولأنها فهمت ، فقد قالت فى حيرة :
ـ لا .. لم أعثر على أية عصا أخرى .. إنها الوحيدة التى كانت هناك .
ولم يتحرك الظل هذه المرة ..
ولكنها فهمت ..
وهتفت :
ـ مستحيل !.. أين يمكن أن توجد عصا أخرى ؟!
وتحركت يد الظل ..
واعتصرت هى عقلها ..

أين يمكن أن توجد عصا أخرى ؟!
أين ؟!
أين ؟!
أشار الظلّ بيده ، فأومأت برأسها ، متمتمة :
ـ فليكن .. سأبحث عنها .. سأبذل قصارى جهدى ..
كان الظلّ يتحرّك فـى هدوء رصين ، وهو يشير إلى بقعة أخرى ، إلى جوارها مباشرة ..
وبكل دهشتها ولهفتها ، هتفت (نشوى) :
ـ آه .. خزانة الأسطوانات المدمجة .. أين هـى ؟! أين الخزانة ؟!
« أية خزانة يا (نشوى) ؟! »
فى هذه المرة ، كانت العبارة مسموعة واضحـة ، فهتفت فى دهشة :
ـ لقد سمعتك .. سمعتك .
ولكن الظلّ كان قد اختفى ، ولم يعد أمامهـا سوى تلك الثـلوج ، الممتدّة إلى مـا لا نهـاية ، والسـماء البنفسجية ، ذات الشمس الحمراء ..
« أية خزانة ؟! »
مرة أخرى ، سمعت العبارة فى وضوح شديد ، فهتفت :

ـ خزانة الأسطوانات .
ومع هتافها ، تلاشى المشهد كله من أمامها بغتة ..
وفتحت عينيها ..
فتحتها على مشهد مختلف تمامًا ..
مشهد والدها (نور) ، وزوجها (رمزى) وزميلها (أكرم) وهم يتطلّعون إليها فى اهتمام ، والأوّل يتساءل فى اهتمام قلق :
ـ أية خزانة أسطوانات ؟!
انتبهت فجأة إلى أنها ترقد على فراش صغير ، أشبه بذلك المستخدم فى المستشفيات ، وإلى أن جبهة (رمزى) محاطة بالضمادات ، فهتفت مذعورة :
ـ أبى .. (رمزى) .. ماذا حدث ؟!
ثم استعاد ذهنها كل ما حدث فجأة ، فاستدركت فى ارتياع :
ـ رباه ! .. إنه أنا .. أنا المسئولة عن كل ما حدث .
أمسك (رمزى) يدها فى حنان ، قائلاً :
ـ بل أنا المسئول يا حبيبتى .. أنا نسفت تلك العصا .
خفق قلبها مع قوله ، وتمتمت فى أسى :
ـ يا للخسارة !

ثم سألت فى لهفة :
- وماذا عن أمى ؟! كيف هى ؟!
ربّت عليها (نور) مهدئًا ، وهو يقول :
- (سلوى) بخير والحمد للّه .. كانت الصدمة قوية ، حتى إنها كادت تفقد حملها .. ولقد بذل الأطباء هنا جهدًا خرافيًا ، حتى أمكنهم السيطرة على الموقف ، ولكنها ستظلّ فاقدة الوعى حتى الصباح ، وعندما تستيقظ ، سيكون كل شىء على ما يرام بإذن اللّه .
تنهدت متمتمة ، وهى تغلق عينيها :
- حمدًا للّه .. حمدًا للّه .
وفجأة ، استعاد ذهنها المشهد كله دفعة واحدة ، فعادت تفتح عينيها ، هاتفة :
- أين خزانة الأسطوانات المدمجة ؟!
سألها (نور) فى توتر :
- إنه ليس هذيان عودة الوعى إذن .. أخبرينى يا (نشوى) .. عن أية خزانة تتحدثين ؟!
أجابته فى انفعال :
- لقد عثرنا عليها وسط الحطام .. إنها خزانة خاصة ، يحتفظ فيها المرء عادة بأسطوانات مدمجة

ذات أهمية بالغة .. مشروع متكامل على الأرجح .. لقد كانت داخل حقيبتى الخاصة .
قال (أكرم) فى حنق :
- أراهن على أن ذلك العقيد المهووس قد استولى عليها إذن .
اعتدل (نور) ، وهو يقول :
- ربما .
ثم أضاف فى حزم :
- وربما لا .
التفت إليه (أكرم) فى حركة حادة ، وتألّقت عيناه فى جذل عجيب ، وهو يقول :
- (نور) .. هل تفكّر فيما أفكّر فيه ؟!
لم ينبس (نور) ببنت شفة ، وهو يتطلّع إليه ، ولكن شيئًا ما فى تلك الابتسامة ، على طرف شفتيه ، جعل (أكرم) يهتف فى ارتياح :
- كنت أعلم هذا .
أمسك (رمزى) ذراعِ (نور) ، قائلاً فى توتر :
- (نور) .. هل تفكران فى الخروج ، فى أثناء فترة حظر التجوال ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ هناك أمر غامض ، خلف كل ما يحدث يا (رمزى) .. أمر يوحى بأن كل شىء هنا يتم خلف ظهر القانون .

قال رمزى) بقلق شديد :

ـ الرجل يحمل أوراقًا رسمية يا (نور) .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ولغزًا غامضًا أيضًا يا (رمزى) .

ثم راح يتحرَّك فى الحجرة ، مكملاً :

ـ كلكم تعلمون أننا أفضل فريق فى الإدارة كلها ، وأن الدولة طالما منحتنا ثقتها ، فى أمور خطيرة للغاية . تعلَّق بها أحيانًا مصير كوكبنا كله ، فلماذا اعتبرتنا فجأة غير أهل لثقتها ؟!

قال (رمزى) :

ـ المسئولون لديهم أسبابهم يا (نور) .

قال (نور) فى سرعة :

ـ بالتأكيد ، ولكن كل الأسباب تستند دائمًا إلى أمر منطقى .. وهذا الأمر يبدو لى مفتقدًا هذه المرة ..

وعاد يتحرَّك فى المكان ، مستطردًا ، وكأنه يراجع الأمر مع نفسه :

ـ دعنا نراجع الموقف كلـه منذ البداية .. انفجار فى فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، تظهر بعده فجوة غامضة ، لا تلبث أن تتلاشى قبل وصولنا ، مخلفة عددًا من حوادث الانتحار الغامضة ، يلقىٰ المنتحرون خلالها مصرعهم ، ثم يعودون إلى الحركة بعد موتهم ، فى مشهد رهيب مخيف ، وترون أنتم فى الفيلا ، بعد أن تضغط (نشوى) مقبض عصا عجيبة ، عثرتم عليها فيها ، فجوة أخرى تنفتح أمامكم ، وتظهر داخلها ظلال مخيفة ، تكاد تعبر إلى عالمنا ، لولا أن نسفت أنت العصا يا (رمزى) .. ويعود بنا هذا إلى عبارة الدكتور (وائل) بعد الانفجار .. « إنهم هنا .. » .. كل هذا يشير إلى حقيقة واحدة مخيفة ، وهى أن الدكتور (وائل) ، عالم الفيزياء والطاقة الفذ ، كان يقوم بتجارب خاصة للغاية ، حول الطاقة ، وأن هذه التجارب قد انتهت بفتح فجوة بين عالمنا وعالم آخر مجهول ، تحيا فيه تلك الظلال .

ثم توقَّف ، ورفع رأسه فى حزم ، مستطردًا :

ـ وأن بعض هذه الظلال قد نجحت فى العبور إلى عالمنا بالفعل .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (أكرم) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا (نور) .. أنا نفسى رأيت أحد هذه الظلال .

قال (نور) ، مشيرًا بيده :

ـ كلنا رأيناها يا (أكرم) .. لم نرها بصورتها المطلقة كظلال ، ولكننا رأينا تأثيرها ، عندما احتلَّت الأجساد البشرية ، ودفعتها للانتحار ، أو عملت على تحريكها بعد موتها .. كلنا علمنا بوجودها ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، فسأله (رمزى) فى قلق :

ـ (نور) .. هل خطر ببالك أمر ما ؟!

رفع (نور) إليه عينين مفعمتين بالتوتر ، دون أن يجيب ، فتمتمت (نشوى) :

ـ أبى .. لديك أمر خطير للغاية .. أليس كذلك ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ الجميع كانوا يعلمون بالفعل .

سأله (أكرم) :

ـ من تقصد بالجميع يا (نور) ؟!

أجابه (نور) ، وعقله ما زال يفكِّر فى عمق :

ـ الإدارة .. مركز الأبحاث .. وزارة الدفاع .. كلهم كانوا يعلمون بأمر تلك الظلال .. وربما بأمر تجارب الدكتور (وائل) أيضًا .

تفجَّرت الدهشة فى عقول الجميع ، وهتف (رمزى) مذعورًا :

ـ (نور) .. ما تقوله أمر خطير للغاية .

قال (نور) فى سرعة :

ـ ومنطقى أيضًا للغاية يا (رمزى) .. لقد حضرنا إلى هنا مباشرة ، فور حدوث الانفجار ، وإبلاغه للإدارة ، كجزء من عملنا الرسمى ، ولم يتم إسناد المهمة لنا بصورة خاصة ، وكان ينبغى ، وفقًا للمعتاد ، أن ينتظر الرؤساء تقريرنا الأوَّلى ، قبل اتخاذ أية إجراءات أخرى ، وهذا ما يحدث دائمًا ..

ثم عاد يشير بسبَّابته ، مستطردًا فى توتر :

ـ إلاَّ فى هذه المرة .. لقد تحرَّك الجميع فى سرعة وعصبية ، وكأنهم يعلمون مسبقًا ما الذى يختفى خلف انفجار الفيلا .. لقد أرسلوا الدكتور (حجازى) ، ليقوم بتشريح جثث الموتى بنفسه ، على الرغم من أنه كبير الأطباء الشرعيين ، وليس من المنطقى أن ينتقل

شخصيًا إلى هنا ، دون مساعدين أو معاونين ، إلا لو كان الأمر ينطوى على حدث جلل ..

قال (أكرم) محذرًا :

ـ الدكتور (حجازى) حضر لتشريح جثة تحركت بعد موتها ، وهذا فى رأيى حدث جلل .

سأله (نور) :

ـ لماذا تم منعه من استكمال عملية التشريح إذن ؟! ولماذا حضر رجال القوات الخاصة إلى هنا بهذه السرعة ؟! ثم لماذا تم عزل المدينة وحصارها ، وقطع كل الاتصالات السلكية واللاسلكية عنها ، بل وإحاطتها بقبة كهرومغنطيسية ، وكأن المسئولين يخشون خروج كائنات غير بشرية منها ؟!

قال (رمزى) وقد انتقل إليه قلق (نور) وشكوكه :

ـ سؤال آخر يا (نور) .. كيف حصل الدكتور (وائل) على التمويل اللازم لإجراء تجاربه ؟! صحيح أنه صنع ثروة محدودة من أبحاثه وجوائزه ، ولكنها لاتكفى للإنفاق على تجارب فيزيائية حول الطاقة ، مع ارتفاع ثمن أجهزة البحث ، التى رأيناها محطمة فى فيلته .

أسرعت (نشوى) تقول :

ـ هذه الأجهزة تساوى ثلاثة ملايين على الأقل .

قال (نور) فى حزم :

ـ الأكثر أهمية هو العصا .

سأله (أكرم) فى حيرة :

ـ ولماذا هى بالذات ؟!

أجابه (نور) :

ـ لأننا لم نر مثيلاً لها من قبل ، على الرغم من أن طبيعة عملنا تسمح لنا بمتابعة كل التطورات التكنولوجية ، حتى السرية منها ، وهذا يعنى أنها قد صنعت خصيصًا ، مما يعنى إمكانيات صناعية وتقنية ضخمة ، لا يمكن أن تتوافر لشخص بمفرده .

قال (رمزى) فى حذر :

ـ ربما كانت ملكًا لتلك الظلال .

اندفعت (نشوى) ، قائلة :

ـ لا .. ليست ملكًا لهم .

التفت إليها الجميع فى دهشة ، وانعقد حاجبا (نور) ، وهو يتطلّع إليها فى قلق ، فى حين سألها (رمزى) فى حيرة قلقة :

ـ وكيف أمكنك الجزم على هذا النحو ؟!

تردَّدت لحظة ، قبل أن تقول :

ـ أنا واثقة من هذا .

سألها (نور) ، فى شىء من الصرامة :

ـ كيف ؟!

تردَّدت لحظة أخرى ، ثم اندفعت تروى لهم ذلك الحلم ..

والعجيب أنهم استمعوا إليها فى اهتمام كامل ، وكأنها تروى حقائق واقعية ، حتى انتهت من روايتها ، وتمتمت فى عصبية :

ـ على كل حال ، إنه مجرَّد حلم .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة صامتة ، قبل أن يغمغم (أكرم) :

ـ لابد أن نستعيد خزانة الأسطوانات هذه بأى ثمن .

تمتم (نور) وعيناه لاتفارقان وجه ابنته الشاحب :

ـ بالتأكيد .

أما (رمزى) ، فقال فى توتر :

ـ أعتقد أن هذا الحلم مجرَّد انعكاس نفسى .

تطلَّعت إليه (نشوى) فى اهتمام ، فى حين سأله (أكرم) فى حذر :

ـ انعكاس نفسى لماذا ؟!

أجابه ، مشيرًا بكفيه فى انفعال :

ـ لقد شاهدت الظلال بنفسها ، وشعرت فى أعماقها برعب شديد منها ، لذا فقد حاول عقلها الباطن السيطرة على ذلك الخوف ومقاومته ، فافتعل الحلم ، الذى تبدو فيه هذه الظلال كصديقة وليست عدوَّة .

قال (أكرم) مستنكرًا :

ـ بعد كل ما فعلته .

أجابه (رمزى) :

ـ الظلال فعلت هذا فى عالم الواقع ، وليس فى حلم (نشوى) .

قال (أكرم) فى إصرار :

ـ ولكن لو أننى رأيت تلك الظلال ، عبر فجوة مخيفة ، لما حلمت بها أبدًا كأصدقاء ، بل لراودتنى كل كوابيس الدنيا إلى الأبد .

هزَّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

ـ العقل الباطن له ألاعيبه يا (أكرم) .

أشار (أكرم) إلى رأسه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لو أنه رأى الظلال فى صورة صديقة ، فهذه حماقاته وليست ألاعيبه .

وهنا تدخّل (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ ربما كان هناك تفسير آخر لما رأته (نشوى) .

سأله الاثنان فى آن واحد :

ـ وما هو يا (نور) ؟!

لم يجب سؤالهما على الفور ، وإنما اتجه نحو ابنته ، وجذبها فى رفق ، لتجلس فى فراشها ، وهو يقول :

ـ معذرة يا صغيرتى .

وارتجفت أصابعه ، وهو يزيح شعرها الناعم عن مؤخرة عنقها ، و ...

وانتفض جسده كله فى عنف ..

فهناك ، فى أعلى مؤخرة عنقها ، كانت هناك دائرة بنية محترقة ، فى حجم عملة متوسطة ، يحيط بها إطار أسود ..

دائرة تعنى أن جسد (نشوى) قد صار وعاء جديدًا لتلك الظلال ..

الظلال القاتلة .

★ ★ ★

٨ ـ الضحايا ..

فركت (مشيرة) كفيها فى عصبيّة شديدة ، وهى تدور كالنمرة الحبيسة ، داخل منزل الأستاذ (حسن) ، الذى تابعها ببصره لبعض الوقت ، قبل أن يقول فى ضيق :

ـ لا فائدة مما تفعلينه يا سيّدة (مشيرة) .. لقد تم فرض حظر التجوال بالفعل ، وجنود القوات الخاصة يملئون شوارعنا ، والاتصالات كلها مقطوعة ، وليس أمامك سوى الانتظار ، حتى انتهاء فترة حظر التجوال فى الصباح .

هتفت محنقة :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا يفعلون هذا ؟! إنها أوّل سابقة من نوعها ، فى أحداث كهذه ! .. هناك شىء ما حتمًا .. شىء بالغ الخطورة ، إلى الحد الذى يدفعهم إلى تجاوز كل القواعد على هذا النحو .

تنهّد الأستاذ (حسن) ، قائلاً :

ـ ربما ، ولكن ليس بيدنا ما نفعله .

قالت ساخطة :

ـ سأثير العالم كله على هذا التجاوز .. سأنشر ما حدث عبر الأقمار الصناعية ، سـ ...

قاطعها بحركة صارمة من يده فجأة ، وهو يهبّ من مجلسه فى حدة ، فانتفضت هاتفة :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار إليها مرة أخرى ، وهو يلتقط تمثالاً من المعدن ، هامسًا :

ـ شخص ما تسلّل إلى المطبخ .

تراجعت هاتفة فى توتر :

ـ ماذا ؟!

تحرّك فى سرعة نحو المطبخ ، وهو يشير إليها وإلى زوجته بالصمت ، ثم لم يلبث أن وثب داخل المطبخ ، هاتفًا :

ـ توقّف وإلا ..

تناهت إلى مسامعهما جلبة فى المطبخ ، فشهقت زوجة (حسن) ، هاتفة :

ـ رباه ! (حسن) .

قبل حتى أن يكتمل هتافها ، كان (حسن) يبرز من المطبخ ، قائلاً فى دهشة عصبية :

ـ لن يمكنكما تصديق هذا .

قالها ، ودفع صبيًّا صغيرًا إلى ردهة المنزل ..

واتسعت عينا (مشيرة) فى دهشة بالغة ..

كان نفس الصبى ، الذى فاوضها من قبل ، بشأن ذلك الفيلم ..

وبكل دهشتها ، هتفت (مشيرة) :

ـ ماذا تفعل هنا ؟! وكيف تجاوزت حظر التجوال ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لم يكن هذا عسيرًا .. الجنود يقطعون الشوارع فى إيقاع رتيب ، وكنت انتظر ابتعادهم ، لأعدو من حديقة فيلا إلى أخرى ، حتى وصلت إلى هنا .

هتفت زوجة (حسن) مستنكرة :

ـ (هيثم) .. أنت جرىء للغاية ! هل تعلم والدتك أنك هنا ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى خجل :

ـ والدتى نائمة .

ثم استطرد فى توتر :

- أعلم أن ما فعلته غير أخلاقى ، ولا يتناسب مع التربية السليمة ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات كما يقولون .

قال الأستاذ (حسن) فى سخرية :

- وما الضرورة هنا ؟!

أجاب فى سرعة :

- الفيلم .. أنتم تريدون الفيلم .. أليس كذلك ؟!

بدت الدهشة على وجه الأستاذ (حسن) وزوجته ، التى قالت :

- أى فيلم ؟ :

أما (مشيرة) ، فقد سألته فى لهفة :

- هل أحضرت الفيلم معك يا (هيثم) ؟!

هزَّ رأسه فى رصانة ، وهو يجيب :

- ستحصلين على الفيلم فى الصباح ، مع انتهاء فترة حظر التجوال ، على أن نتفق على السعر أوَّلاً .

مرة أخرى ، بدت الدهشة على وجهى الأستاذ (حسن) وزوجته ، فى حين زفرت (مشيرة) ، قائلة :

- فليكن يا (هيثم) . كم تريد ثمنًا لفيلمك ؟!

تنحنح الصبى ، وشدَّ قامته فى اعتداد وحسم ، وهو يجيب :

- مليون جنيه .

قفز الأستاذ (حسن) من مكانه ، صائحًا فى استنكار :

- مليون جنيه ؟! مليون جنيه ثمنًا لفيلم واحد ؟! يبدو أنك مصاب بجنون العظمة أيها الصبى ! لقد عملت طيلة عمرى ، ولم أر مليونًا قط .

وغمغمت زوجته :

- عيبكم هو المبالغة أيها الصغار .

دق الأرض بقدمه فى عناد ، وهو يقول :

- لست مبالغًا .. لقد قرأت على شبكة الأنترنت أن أحد المصوِّرين الهواة قد حصل على مبلغ مماثل ، عندما التقط مصادفة فيلمًا لسقوط طائرة مدنية ، وأعتقد أن فيلمى أكثر أهمية وخطورة .

أجابته (مشيرة) فى حزم :

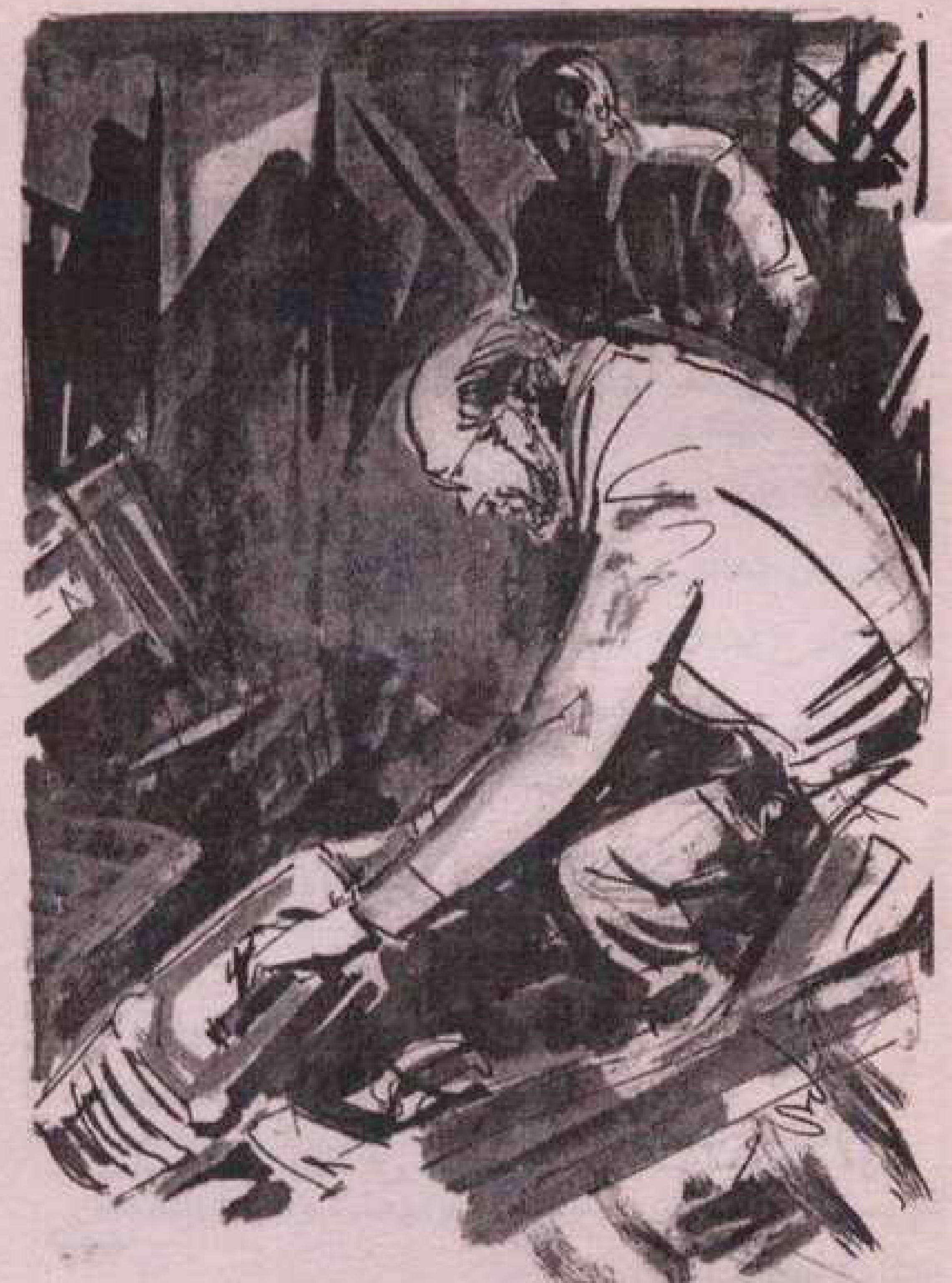
- اسمع يا (هيثم) .. سندفع مائتى ألف جنيه ، مقابل هذا الفيلم .

اتسعت عينا الأستاذ (حسن) ، وهو يهتف مستنكرًا :

- مائتا ألف ؟! لهذا الصبى ؟!

عاد (هيثم) يدقّ الأرض بقدمه ، قائلاً فى عناد :
- مليون جنيه .. لن أتنازل عنها قطّ .
قالت (مشيرة) :
- نصف مليون ، وهذا آخر عرض أقدّمه لك .
قال فى صرامة ، لا تناسب سنه :
- أنا قدّمت عرضى الأخير بالفعل .
ثم عاد أدراجه إلى المطبخ ، مستطردًا :
- اقبليه أو ارفضيه .
هتفت به (مشيرة) فى غضب :
- ليس هذا أسلوبًا للتعامل ..
قال بنفس الصرامة ، وهو يواصل طريقه :
- إنه أسلوبى .
هتف الأستاذ (حسن) ، وهو يضرب كفًّا بكف :
- ماذا أصاب الصبية فى هذا الزمن ؟!
وانعقد حاجبا (مشيرة) فى غضب ، وهى تهتف :
- فليكن .
استدار إليها الصبى ، متسائلاً فى لهفة :
- هل تقبلين ؟!
أجابته فى صرامة :

- سنلتقى فى منتصف عرضك وعرضى .. ستدفع لك (أنباء الفيديو) سبعمائة وخمسين ألف جنيه ، مقابل الفيلم ، بشرط أن تكون قد سجّلت فيه الحدث كاملاً ، وعلى نحو جيّد ، وإلا فالصفقة ملغاة .
اتسعت عينا الأستاذ (حسن) عنِ آخرهما ، فى دهشة مستنكرة ، وهو يحدّق فى وجه الصبى ، الذى بدت عليه علامات التفكير العميق لبعض الوقت ، قبل أن تتهلّل أساريره ، ويقول :
- اتفقنا .. سأحضر الفيلم فى الصباح .
قالها ، واختفى داخل المطبخ ، فى حين سقط فك الأستاذ (حسن) السفلى فى بلاهة ، وهو يحدّق فى المطبخ ، قبل أن يعقد حاجبيه ، ويلتفت إلى زوجته فى سخط ، قائلاً :
- هل رأيت كم كنت على حق ، عندما اقترحت شراء آلة تصوير فيديويّة جديدة ؟!
ابتسمت (مشيرة) ، وهى تقول :
- هذا لا يكفى .. لابد أن تمتلك أيضًا مهارة الصبى .
مطّ شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :



انحنى أحد علماء فريق البحث الجديد ، يلتقط حقيبة (نشوى) ، من بين حطام الانفجار ..

- أنت على حق .

أما زوجته ، فقالت فى قلق :

- هل تعتقدان أنه يستطيع العودة إلى منزله فى أمان ؟!

أجابتها (مشيرة) ، وهى تجلس على أقرب مقعد إليها :

- إنه صبى ذكى ، وسيعود كما جاء ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، ارتفع صوت أحد الجنود من الخارج ، وهو يهتف فى صرامة :

- أنت .. إلى أين تذهب ؟!

ثم أعقب الهتاف صوت أشبه بالفحيح ..

صوت مدفع ليزرىّ ينطلق ..

ومعه انطلقت صرخة ألم ..

وهوت قلوب ثلاثتهم بين أقدامهم .. بعنف ..

★ ★ ★

انحنى أحد علماء فريق البحث الجديد ، يلتقط حقيبة (نشوى) ، من بين حطام الانفجار الأخير ، وغمغم وهو ينقلها إلى مائدة قريبة :

ـ أعتقد أن هذه ليست حقيبة الدكتور (وائل) ، فلم يكن (رحمه الله) يميل إلى أجهزة الكمبيوتر النقالة أبدًا .

ألقى زميله نظرة على الحقيبة ، وقال :

ـ إنها حقيبة تلك المرأة .. ابنة (نور) و (سلوى) .. لقد شاهدتها تحملها فى الإدارة .. إنها مميزة بلونها الوردى الفريد .

ابتسم العالم الأول ، قائلاً :

ـ يا للنساء وتقاليعهن العجيبة !

قال الثانى فى رصانة :

ـ الواقع أنها خبيرة كمبيوتر مدهشة ، وعبقرية للغاية ، بالنسبة لعمرها .

تطلّع العالم الأول إلى الحقيبة فى فضول ، قبل أن يتساءل :

ـ تُرى ما الذى تحمله فى حقيبتها ؟!

أجابه الثانى فى سرعة :

ـ ليس من حقنا أن نفحص محتويات الحقيبة دون علمها .

زمجر الجندى المصاحب لهما ، قائلاً :

ـ دعكما من هذه الحماقات الآن ، ففى ظل هذه الظروف لا توجد سوى قاعدة واحدة .. افعل ما يدفعك إلى الربح .

التفت إليه العالم الثانى ، قائلاً فى اعتراض :

ـ أيًا كان ؟!

أجابه الجندى فى صرامة :

ـ أيًا كان .

تبادل العالمان نظرة قلقة ، فاستطرد الجندى ، وهو يلوّح بمدفعه الليزرى :

ـ هيًا .. افتحا الحقيبة .

تردّد العالم الأول لحظة ، ثم ضغط زر قفل الحقيبة ، ورفع غطاءها ، وهو يغمغم :

ـ مازلت أومن بأن هذا ليس من حقنا .

قال الجندى فى صرامة :

ـ فليكن .

وعلى الرغم من شعورهما بالخجل مما يفعلانه ، لم يستطع العالمان مقاومة فضولهما ، وهما يتطلعان داخل الحقيبة ..

كانت حقيبة مثالية ، بالنسبة للعمل الخارجى ، تحوى

جهاز كمبيوتر نقَّال ، من أحدث الطرز المعروفـة ، وجهاز اتصال صغير دقيق ، يكفى لتوصيـل الكمبيوتـر بكل شبكات المعلومات فى العالم ، عن طريـق الأقمـار الصناعيـة ، وطابعـة ليزريـة ملونـة صغيرة ، وجهـاز نسخ أسطوانات مدمجة ، و...

وتلك الخزانة الإليكترونية الصغيرة ..

وبكل فضول الدنيا ، توقَّف بصر العالمين عند تلـك الخزانة الصغيرة ، وقال الأوَّل ، وهو يشير إليها :

- هل تعرف هذه ؟!

أجابه الثانى فى سرعة :

- بالطبع .. إننا نمتلك مثلها فى المركز .

قال الأوَّل ، فى اهتمام بالغ :

- هذا النوع من الخزائن الإليكترونية ، يحوى فى المعتاد معلومات بالغة الأهمية والسريَّة .

التقط الثانى الخزانة فى اهتمام ، وهو يقول :

- إنها مزوَّدة برنامج إليكترونى معقَّد ، ونظام أمنـى خاص ..

ثم رفع عينيه إلى زميله ، مستطردًا فى تساؤل :

- هل تعتقد أنها تخصّ خبيرة الكمبيوتر ؟!

قال الأوَّل على الفور :

- ولماذا تحضرها معها إلى هنا ؟! المرء لا يحمل أسراره فى حقيبته ، وهـو فى طريقه لفحص حادث غامض .. الأكثر منطقية أن يحفظها فى خزانة خاصة ، أو يتركها فى مكان آمن ، مثل مكتب الفريق ، داخل إدارة المخابرات العلمية .

ثم قلَّب الخزانة الصغيرة بين أصابعه ، قبل أن يشير إلى جزء من طرفها ، وهو يضيف فى حماس :

- ثم هذه الأحرف فى جانبها .. واو .. شين .. ما الذى يوحى به هذا ؟!

هتف الثانى فى لهفة :

- الدكتور (وائل شوقى) .

كان الجندى يتابع حديثهما فى اهتمام بالغ ، عندما خُيِّل إليه فجأة أن ظل العـالم الأوَّل ، الملقـى علـى الجدار ، قد تحرَّك ، فـى اتجاه مخالف لحركـة العالم نفسه ..

وانعقد حاجبا الجندى فى توتر ، وهو يحدِّق فـى ذلك الظلّ ، و...

وفجأة ، اعتدل الظل واقفًا ..

وتراجع الجندى كالمصعوق ، هاتفًا :

- رباه !.. أىّ عبث شيطانى هذا ؟!

ومع آخر حروف كلماته ، انقضّ عليه ذلك الظلّ .. وصرخ الجندىّ ، وهو يتراجع أكثر ، ويرفع فوهة مدفعه الليزرى ، وكأنما سيطلق أشعته نحو الظل المخيف ..

والتفت العالمان إليه ، إثر صرخته ..

واتسعت عيونهما فى رعب وذهول ، أمام ذلك المشهد الرهيب ..

لقد انقضّ الظل على الجندى ، ودار حوله بسرعة مذهلة ، كسحابة من دخان داكن ، قبل أن يتجه إلى مؤخرة عنقه مباشرة ..

وانتفض جسد الجندى فى عنف ، واتسعت عيناه فى ألم ، وشعر بخنجر من النار يخترق مؤخرة عنقه ، ثم يسرى فى عروقه كاللهب ..

وانطلقت من حلقه صرخة ألم وذعر ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

وتألّقتا بذلك البريق ..

البريق الأحمر المخيف ..

وتراجع العالمان كالمصعوقين ، وأحدهما يهتف :

- رباه ! .. ما هذا ؟! .. ما هذا ؟!

نقل الجندى عينيه المتألقتين بينهما فى بطء ، ثم اتجه نحوهما مباشرة ، فهتف أحدهما بزميله فى ذعر :

- اضغط زر جهاز الاتصال .. اطلب النجدة على الفور .

كان زميله يرغب فى فعل هذا حقًّا ، إلا أن الرعب ، الذى سرى فى عروقه ، جعل أصابعه تتجمّد ، وتعجز عن التقاط جهاز الاتصال الخاص من جيبه ، فى حين واصل الجندى تحركه نحوهما ، ثم مدّ يده ، وأمسك خزانة الأسطوانات الإليكترونية فى قوة ، فصاح العالم الأوّل ، وهو يتشبّث بها فى استماتة :

- لا .. لا يمكنك أن تحصل عليها .

رفع الجندى فوهة مدفعه الآلى فى بطء ، و ..

وضغط الزناد ..

وانطلق شعاع الليزر القاتل ، يخترق صدر العالم ، وينتزعه من مكانه ، ليضرب به الجدار فى عنف ، قبل أن يسقط أرضًا جثة هامدة ، وتسقط الخزانة من يده ..

وصرخ العالم الثانى :

- لا .. لا تقتلنى .. أرجوك .. الرحمة .

أدار الجندى عينيه المخيفتين إليه فى بطء ، ثم انحنى يلتقط الخزانة ، واستدار ليغادر المكان فى هدوء ..

واتسعت عينا العالم أكثر وأكثر ، وهو يتابع ابتعاد الجندى ..

ثم فجأة ، انطلقت من حلقه صرخة ..

صرخة مكتومة ، حملت كل رعب وذعر الدنيا كلها ..

ثم انطلق يعدو بغتة ..

لم يدر لماذا أقدم على هذه الخطوة الحمقاء ، ولكن يبدو أن الخوف قادر بالفعل ، على شل عقل عبقرى مثله ، ودفعه إلى القيام بأسخف شىء يمكن أن يتخيّله المرء ، فى لحظات الخطر ..

فمع انطلاقته المباغتة ، استدار إليه الجندى مرة أخرى ، ورفع فوهة مدفعه الليزرى ..

ثم أطلق النار ..

وعلى الرغم من سرعة اندفاع الرجل ، إلا أن

طَلقة الليزر القوية ، التى أصابته فى صدره ، اقتلعته من مكانه فى عنف ، ودفعته أمامها لأربعة أمتار كاملة ، قبل أن يرتطم بطرف الجدار المحطَّم ، وينقلب خارجه جثة هامدة ..

وفى هدوء مثير ، اعتدل الجندى ثانية ، وتألّقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يغادر الفيلا ، ويستقل واحدة من سيارات الجيب العسكرية ، ثم ينطلق بها مبتعدًا .. وبأقصى سرعة ..

★ ★ ★

تجمَّد جسد (نور) كله فى ارتياع ، عندما وقع بصره على تلك الدائرة المحترقة ، فى أعلى مؤخرة عنق ابنته ، وسرت فى جسده رجفة عجيبة ، عندما سأله (رمزى) :

- ماذا وجدت يا (نور) ؟!

أعاد (نور) خصلات شعر ابنته إلى موضعها ، وهو يغمغم :

- لا شىء .

تطلّع إليه الثلاثة فى حيرة وشك ، قبل أن ترفع (نشوى) يدها ، وتتحسّس مؤخرة عنقها ، ثم تهتف :

- رباه ! .. ما هذا ؟!

أسرع إليها (رمزى) ، وألقى نظرة على الدائرة المحترقة بدوره ، قبل أن يقول فى توتر :

- إننى لم أر شيئًا كهذا من قبل قط ! إنه أشبه بحرق ناتج عن جسم ملتهب مستدير !

تحسَّست (نشوى) الدائرة مرة أخرى ، وقالت فى خوف :

- ولكنها لا تؤلمنى ، بل ولست أشعر بها على الإطلاق .

ثم رفعت عينيها إلى (نور) ، مستطردة ، وقد اغرورقت عيناها بالدموع :

- ما الذى يعنيه هذا يا أبى ؟

صمت لحظة ، ثم هزَّ رأسه ، مجيبًا :

- لست أدرى يا (نشوى) .. حتى هذه اللحظة لست أدرى .

أما (أكرم) ، فقد ظلَّ صامتًا ، يتطلَّع إليها فى أسى ومرارة ، قبل أن يقول :

- لن نسمح لأى شخص ، أو أى شىء بأن يمسَّك بسوء .

التفتت إليه ، والدموع تسيل من عينيها ، قائلة :

- ما الذى يعنيه هذا يا (أكرم) ؟!

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة صامتة بائسة ، قبل أن يجيب الثانى :

- صدقينى يا (نشوى) .. لا أحد يمكنه الجزم ، حتى هذه اللحظة .

نقلت بصرها بينهما بضع لحظات ، قبل أن تقول فى مرارة :

- إنهم داخلى .. أليس كذلك ؟!

ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

وكان هذا بالنسبة إليها أبلغ من أى جواب ..

وانهمرت الدموع من عينيها أكثر غزارة ، وهى تكمل :

- الموت هو النتيجة الحتمية إذن .

أجابها (رمزى) فى حزم :

- لن نسمح بحدوث هذا أبدًا .

ارتفع صوت قلق فى تلك اللحظة ، يقول :

- ما هذا الذى لن تسمحوا بحدوثه ؟!

التفت أربعتهم إلى مصدر الصوت ، وهتف (نور) :

- يا إلهى ! (سلوى) ؟! لماذا غادرت فراشك ؟! المفترض أن تظلى نائمة حتى الصباح !!
وهتفت (نشوى) ، وهى تمسح دموعها :
- أمى .. حمدًا لله على سلامتك .
اندفعت (سلوى) نحوها ، وتعانقتا فى حرارة ، وهى تقول :
- لم يكن من الممكن أبدًا أن أظلَّ فى فراشى ، دون أن أطمئن على سلامتك .
هتفت (نشوى) :
- أنا بخير .. صدقينى .. أنا بخير .
ربّتت (سلوى) عليها فى حنان ، ثم التفتت إلى (نور) ، تسأله :
- ما الذى لن تسمحوا بحدوثه يا (نور) ؟!
أجابها فى حزم :
- الإساءة إلى أى واحد منا يا (سلوى) .
أتاه صوت صارم ساخر ، يقول :
- هذا لو أنكم تستطيعون منعها أيها المقدّم .
التفت الجميع إلى العقيد (باسل) ، الذى تقدّم داخل الحجرة بابتسامة شامتة ظافرة كبيرة ، فقال له (نور) فى برود :

- تُرى أية رياح باردة ألقت بك هنا أيها العقيد ؟!
أجابه العقيد (باسل) :
- إننى هنا فى مهمة رسمية أيها المقدَّم .
قال (أكرم) فى سخرية :
- هل ستمنعنا من التجوال ، فى المستشفى أيضًا ؟!
رمقه العقيد بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :
- بالنسبة إليكم ، سينتهى حظر التجوال بعد ساعة واحدة من الآن .
تبادل الجميع نظرة قلقة ، قبل أن يتساءل (نور) فى حذر :
- ولماذا ؟
تطلّع إليه (باسل) بنظرة صارمة شامتة ، قبل أن يجيب ، وهو يشدّ قامته فى زهو ظافر :
- لقد صدرت الأوامر بإعادتكم إلى (القاهرة) فورًا .
تفجّرت دهشة جديدة فى أعماقهم ، وقال (نور) فى عصبيّة :
- ما الذى يحدث بالضبط أيها العقيد ؟! أهو انقلاب عسكرى أم ماذا ؟!

هزّ العقيد (باسل) رأسه نفيًا فى بطء ثقيل ، قبل أن يجيب :

- لا توجد أية انقلابات عسكرية أو سياسية أيُّها المقدّم .. الأمور كلها تسير على ما يرام .. إنها أوامر قيادتك فى (القاهرة) ، ومهمتى هى تنفيذها فحسب .

قال (أكرم) فى حدة :

- ولماذا انقلبت علينا قيادتنا فى (القاهرة) على هذا النحو ؟! لماذا نقلتنا فجأة ، من خانة المخلصين إلى قائمة الخونة ؟!

أجابه فى صرامة :

- اطرح أسئلتك فى (القاهرة) .

ثم أشار إلى رجاله ، فارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية فى وجوه الجميع ، قبل أن يقول بنفس الصرامة الشامتة الساخرة :

- أسلحتكم أيها السادة .

سأله (نور) فى غضب :

- هل المطلوب إعادتنا أم اعتقالنا ؟!

أجابه العقيد فى صرامة :

- سحب أسلحتكم إجراء وقائى أيها السادة .. لست

أرغب فى حدوث احتكاكات أو مواجهات غير محسوبة ، لمجرَّد أن الأعصاب ثائرة متوترة .. سأعيد إليكم أسلحتكم ، خارج حدود منطقة الحصار .

تبادل (نور) و(أكرم) و(رمزى) نظرة متوترة ، قبل أن يسلِّم الأوَّل والثانى سلاحيهما للجنود ، ويقول الثالث فى توتر :

- لست أحمل أية أسلحة .

أجابه العقيد (باسل) :

- أصدّقك .

قال (نور) فى حزم :

- وماذا عن (سلوى) و (نشوى) ؟!

سأله فى صرامة :

- ماذا عنهما ؟!

أجابه (نور) :

- حالتهما لا تسمح بنقلهما خارج المستشفى ، فى الوقت الحالى .

أدار (باسل) عينيه إلى (سلوى) و (نشوى) لحظة ، بدت عليه خلالها علامات التفكير العميق ، قبل أن يعيد عينيه إلى (نور) ، قائلاً :

- فليكن .. يمكنهما البقاء ، حتى تتحسَّن حالتهما .
وأدار عينيه فى وجوه الرجال الثلاثة ، مستطردًا :
- المهم أن أصحب ثلاثتكم الآن .
ران على الحجرة صمت ثقيل لبضع لحظات ، قبل أن يقول (نور) :
- فليكن .
ثم أضاف فى حزم :
-ولكننى سأتحدَّث إلى زوجتى وابنتى أوَّلاً .. وحدنا .
صمت العقيد (باسل) لحظة ، وهو ينظر إليه فى شك ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :
- فليكن .. أمامكم دقيقة واحدة .
ثم أشار إلى رجاله ، وغادر الجميع حجرة (نشوى) ، وتركاه فيها مع ابنته وزوجته ، ولم يكد الباب يغلق خلفهم ، حتى قالت (سلوى) فى توتر :
- ماذا يحدث يا (نور) ؟!
أجابها فى حزم :
-دعينا من هذا الآن ، فالوقت أضيق من أن نضيعه فى محاولات التفسير ، وذلك المغرور منحنا دقيقة واحدة .

ثم أمسك يدى ابنته وزوجته ، مستطردًا :
- استمعانى جيدًا .. اسمعينى أنت بالذات يا (سلوى) .. (نشوى) تواجه مشكلة ، لاندرى كنهها بالضبط .. ربما أمكنها أن تشرحها لك ، ولكنك مثلنا ، لن تجدى تفسيرًا واضحًا .. كل ما أطلبه منك هو أن تنتقلى للإقامة فى حجرتها ، حتى تنتهى هذه الأزمة .. امنعيها من التحرُّك بأية وسيلة ، حتى لو اضطررت لتقييدها بالأغلال فى فراشها .
هتفت (سلوى) مذعورة ، وهى تحتضن ابنتها فى قوة :
- (نور) .. ماذا أصاب (نشوى) بالضبط ؟!
تنهَّد مغمغمًا :
- لست أدرى يا (سلوى) .. صدقينى .. لست أدرى .
برز العقيد (باسل) فى هذه اللحظة ، قائلاً فى صرامة :
- هيا أيها المقدَّم .
صمت (نور) لحظة فى ضيق ، ثم انتزع من أعماقه ابتسامة ، ألقاها على شفتيه ، وهو يقول لزوجته وابنته :

ـ إلى اللقاء .. سأنتظركما فى (القاهرة) .

لم تنبس إحداهما ببنت شفة ، وهو يغادر الحجرة ، وإن أسرعت (سلوى) إلى النافذة ، لتتطلَّع إلى الثلاثة ، وهم يستقلون سيارة (جيب) عسكرية ، انطلقت بهم على الفور ، خلف سيارة العقيد (باسل) ، ثم التفتت إلى ابنتها ، قائلة فى توتر :

ـ لست أدرى لماذا أشعر بقلق شديد هذه المرة ؟!

حاولت (نشوى) أن تبتسم ، وهى تقول :

ـ أنت تشعرين بالقلق دائمًا يا أمى .

تنهَّدت (سلوى) فى حرارة ، وهى تعود إليها ، قائلة :

ـ هذا أمر طبيعى يا بنيتى .. إننى أحب والدك كثيرًا ، وأشعر بالقلق كلما ابتعد عنى .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى ضيق متوتر :

ـ وبالذات فى مثل هذه الظروف .

وافقتها (نشوى) بإيماءة من رأسها ، مغمغمة :

ـ أنت على حق .. أنا أيضًا أشعر بالقلق على (رمزى) ، و ..

قاطعتها (سلوى) فى توتر :

ـ دعينا من كل هذا الآن ، وأخبرينى : ما المشكلة التى تحدَّث عنها والدك ؟!

تحسَّست (نشوى) مؤخرة عنقها ، مغمغمة :

ـ لست أدرى يا أمى فى الواقع .. لست أدرى .. كل ما فى الأمر أن ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، ارتفعت فجأة صرخة رعب قوية قريبة ، فهتفت (سلوى) ، وهى تقفز من مكانها مذعورة :

ـ رباه ! .. ماذا حدث ؟!

اتسعت عينا (نشوى) دون أن تجيب بحرف واحد ، وإن راح قلبها يخفق فى عنف ، وكأنها تشعر بما سيحدث ..

ثم أطلقت (سلوى) صرخة رعب مكتومة ، وكاد قلب (نشوى) يتوقَّف عن النبض دفعة واحدة ...

فمن باب حجرتها المفتوح ، دخل ذلك الجندى ..

جندى القوات الخاصة ، الذى أتى من فيلا الدكتور (وائل) ..

الجندى الذى تطلَّع إليهما لحظة ، بعينيه المتألقتين ، بلونهما الأحمر الرهيب ، ثم تقدَّم نحوهما مباشرة ..

وتقدَّم ..

وتقدَّم ..

★ ★ ★

لأكثر من عشر دقائق كاملة ، لم ينبس أحد الثلاثة ، (نور) و (أكرم) و (رمزى) ، بحرف واحد ، والسيارة تنطلق بهم نحو حدود مدينة (السادس من أكتوبر) ، وأمامها سيارة العقيد (باسل) الخاصة ..

كان كل واحد منهم يسبح ، فى بحر خاص من الأفكار ..

(رمزى) كان يعتصر عقله ، ويراجع كل معلوماته الطبية ، فى محاولة لإيجاد تفسير طبى علمى ، لتلك البقعة المستديرة المحترقة ، فى أعلى مؤخرة عنق زوجته ..

كل خلية فى جسده كانت تشعر بالقلق ، دون أن يجد ذلك التفسير ..

وربما كان هذا هو الخوف ، الذى تحدَّث عنه ، مع (سلوى) و (نشوى) ..

الخوف من المجهول ..

المجهول الذى نخشاه ، لأننا نجهل ماهيته وقوته ومداه ..

و (أكرم) كان يشعر بتوتر شديد ، وهو يتابع سيارة العقيد (باسل) طوال الوقت ..

لم يكن يشعر بالأمان أبدًا ، فى وجود ذلك الرجل .. ولم يثق به مطلقًا ..

بل لقد تساءل فى غضب ، كيف يمكن لمثله أن يتولَّى عملاً قياديًّا ، فى الجيش المصرى ؟!

وفى القوات الخاصة بالتحديد ؟!

كيف يمكن أن تسند إليه مهمة كهذه ؟!

بل كيف يمكن أن يثق أحد بإخلاصه وذكائه ؟!

كيف ؟!

أما (نور) ، فقد كانت أفكاره أكثر قلقًا وخطورة .. وأكثر تشعُّبًا ..

لقد شملت أفكار زميليه ، بالإضافة إلى أفكاره الخاصة ..

كان يشعر بالقلق على زوجته وابنته ، اللتين أجبرته الظروف على تركهما خلفه ، داخل حزام الخطر المجهول ..

ويشعر بالخوف على ابنته ..

ترى هل احتلَّت تلك الظلال جسدها بالفعل ؟!

هل ستسيطر عليها ، كما فعلت مع غيرها ؟!

ولكن متى حدث هذا ؟!

وكيف ؟!

ثم لماذا اتخذت الإدارة هذا الموقف العدائى ، منه ومن فريقه ؟!

لماذا أسندت مهمة كهذه إلى القوات الخاصة ؟!

كيف يمكن لعقلية محدودة ، مثل عقلية العقيد (باسل) ، أن تتولى أمرًا كهذا ، بكل غموضه وخطورته وعنفه ؟!

من اتخذ هذا القرار ؟!

أهو القائد الأعلى ؟!

أم وزير الدفاع ؟!

أم أنها القيادة السياسية مباشرة ؟!

ولمصلحة من تم اتخاذ مثل هذا القرار ؟!

لقد تولى وفريقه عشرات المهام ، وحققوا النصر فيها كلها ..

لا أحد يمكن أن يشكك لحظة واحدة ، فى قدرته ونزاهته ..

أو فى براعة فريقه وإخلاصه ..

لا أحد ..

فلماذا تتم معاملتهم بهذا الأسلوب السخيف الآن ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

« ما الذى حدث بالضبط ؟! »

نطق (أكرم) العبارة فى توتر ، فانتبه (نور) ، فى تلك اللحظة فقط ، إلى أن السيارة (الجيب) قد توقفت ، فى منتصف الطريق ، وكذلك سيارة العقيد (باسل) ، الذى غادرها فى هدوء ، وأشار بيده لقائد السيارة الأخرى ، فالتفت إلى الجنود المصاحبين لهم ، قائلاً :

ـ أخرجوهم ..

لم يشعر (نور) أو (أكرم) أو (رمزى) بالارتياح أبدًا ، وهم يغادرون السيارة ، ويقفون إلى جوارها ، فى العراء والظلام ، وعلى مسافة كبيرة من أقرب منطقة مأهولة ، فقال (نور) فى صرامة :

ـ ما الذى سنفعله هنا بالضبط ؟!

أجابه العقيد (باسل) فى سخرية :

ـ لا تتعجل الأمور أيها المقدم .. ستعرف كل شىء بعد قليل .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ولماذا لا نعرفه الآن ؟!

التفت إليه فى صرامة ، مجيبًا :

- لأننى لا أريد هذا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، ولاذ (رمزى) بالصمت فى توتر شديد ، فى حين قال (نور) فى غضب صارم :

- اسمعنى جيدًا أيها العقيد ..

صاح (باسل) يقاطعه فى حدة :

- اسمعنى أنت أيها المقدّم .. ما دمنا هنا ، فستسمعنى أنت ، وسأتكلم أنا فقط .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وراح يسير جيئة وذهابًا فى صمت عصبى ، قبل أن يتوقّف مرة أخرى أمام (نور) ، ويرمقه بنظرة تحمل كل مقت وكراهية الدنيا ، ثم يقول فى صرامة عصبية :

- لا يمكنك أن تتصورّ كم أبغضك يا سيّد (نور) .

قال (نور) فى دهشة :

- تبغضنى ؟! ولماذا ؟!

صاح به :

- لأنك صورة لكل ما أبغضه فى حياتى .

وعاد يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتحرّك متابعًا فى انفعال :

- أنت رجل مخابرات علمى ، ولكنك وسيم ، أنيق ، ذكى .. وشهير أيضًا .. كل مخلوق فى العالم يعرف أنك (نور الدين محمود) .. ضابط المخابرات العلمية المصرى ، الذى قاد كتائب المقاومة ، فى أثناء غزو الأرض (★)، والذى تحرّر الكوكب بفضله فى النهاية .

قال (نور) فى صرامة :

- بفضل الله (سبحانه وتعالى) .

قلب (باسل) شفتيه ، قائلاً :

- كفاك تظاهرًا بالإيمان والتواضع أيها المقدّم ؛ فهذا لن يفيدك هنا .

تطلّع إليه (رمزى) لحظة ، ثم قال فى حزم :

- يبدو أن المشاعر قد اختلطت فى أعماقك ، فما تشعر به ليس البغض ، وإنما هو الغيرة والحقد ..

(★) راجع الأجزاء الخمسة : (الاحتلال) ، و (المقاومة) ، و (الصراع) ، و (التحدى) ، و (النصر) .. المغامرات أرقام ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

إنك تغار من (نور) ؛ لأنه حقق كل ما كنت تصبو إليه فى حياتك .

لوَّح العقيد بذراعه ، صائحًا فى غضب :

ـ هذا أيضًا أكرهه .. التحذلق والغباء ، وعدم القدرة على فهم الآخرين .

قال (نور) فى صرامة :

ـ هل تعتقد أن (رمزى) لم يحسن فهمك بالفعل ؟!

أجابه فى تحد :

ـ لا تحاول أيها المقدّم .. إننى حتى أبغض ذكاءك هذا .

ثم تراجع ، مستطردًا :

ـ ويبدو أننى لست الوحيد الذى ضاق بك ، والذى تمنى التخلُّص منك أيها المقدّم .. إدارتك أيضًا تمنَّت هذا .

بدت الدهشة على وجهى (رمزى) و (أكرم) ، ممتزجة بقلق لا حدود له ، فى حين عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ إدارتى ؟!

تراجع العقيد (باسل) أكثر وأكثر ، وهو يشير بيده لجنوده ، قائلاً :

ـ بالطبع أيها الأحمق .. لقد صدرت لى أوامر مباشرة ، بالتعامل معكم بالخطة (ألف دال) .. هل تعلم ما هى (ألف دال) ؟!

ارتفعت فوهات مدافع الليزر ، فى وجوه (نور) و (رمزى) و (أكرم) ، والعقيد (باسل) يضيف فى حزم شامت جذل :

ـ إنها تعنى إعدام الدليل .

ثم خفض يده ، هاتفًا فى سخرية شامتة :

ـ الوداع يا منقذ الأرض ..

وانطلقت خيوط الليزر وسط الظلام .. بلا هوادة .

★ ★ ★

[تم الجزء الأوَّل بحمد الله]

[ويليه الجزء الثانى بإذن الله]

(الظلال الرهيبة)



- ماسر تلك الفجوة، التى نشأت بين عالمين، إثر إنفجار محدود ؟!
- ما تلك الظلال، التى تهاجم البشر، وتحتل عقولهم وأجسادهم ؟!
- تُرى هل يستطيع (نور) وفريقه مواجهة كل هذا الرعب، والوقوف فى وجه (المجهول) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم : الظلال الرهيبة



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

121

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الامريكى
فى سائر الدول العربية والعالم